

## الفصل الرابع

### علم الاجتماع والأنثربولوجيا

- \* الأنثربولوجيا •• الموضوع والاهتمامات والصلات •
- \* الثقافة •• علامة لقاء بين الاجتماع والأنثربولوجيا •
- \* النظم الاجتماعية بين الأنثربولوجيا والاجتماع •
- \* الأنثربولوجيا بين الاستعمار والعنصرية •
- \* الأنثربولوجيا بين التطبيق وأهم النتائج •



## المبحث الأول

### الأنثروبولوجيا .. الموضوع والاهتمامات والصلات

- \* موضوع الدراسة في الأنثروبولوجيا .
- \* اهتمامات الأنثروبولوجيا .
- \* نقاط الالتقاء بين الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع .

\* \* \*

### \* موضوع الدراسة في الأنثروبولوجيا :

تعنى الأنثروبولوجيا Anthropology بصفة عامة بدراسة الانسان ، مشاركة في ذلك العديد من العلوم الطبيعية والاجتماعية .

ولسنا هنا بصدد توضيح نشأة الأنثروبولوجيا كعلم ، فلذلك مراجعه ومدارسه ونظرياته الكثيرة والمنوعه (١) .

وانما الذى يعيننا فى هذا المجال هو أن نوضح أن علم الأنثروبولوجيا يدرس الانسان من زاويتين ، أولاهما .. على اعتبار أن الانسان واحد من أعضاء المملكة الحيوانية ، والثانية .. على اعتبار أن ذلك الانسان عضو فى مجتمع .

واهتمام الأنثروبولوجيا ليس قاصرا على انسان بالذات أو على مجتمع معين فى زمان أو مكان محدد ، وانما يمتد ذلك الاهتمام ليشمل الانسان فى أى مجتمع وفى كل العصور .

ومن هنا تركز اهتمام الأنثربولوجيا في ثلاثة محاور رئيسية هي :

١ — دراسة كل مراحل التطور التي أثرت في التركيب العضوى

للانسان •

٢ — دراسة كل تغير أصاب حضارة ذلك الانسان وأثر فيها سواء

بالحذف أو بالاضافة \* •

٣ — أما آخر المحاور فيتمثل في الاتجاه نحو الدراسات المقارنة

والتي احتلت مكانا مبرزاً من الدراسات الأنثربولوجية بصفة عامة ،

ولقد اهتم ذلك الاتجاه بابرار نقاط الالتقاء أو الاختلاف بين العديد من

المجتمعات والحضارات محل الدراسة •

وعلى الرغم من بروز الاتجاهات أو المحاور الثلاثة السابقة الا أنه

من المتفق عليه بين علماء الأنثربولوجيا ، أن مجال الدراسة الأنثربولوجية

يقتسمه اهتمامان أساسيان هما :

١ — دراسة الانسان ككائن طبيعى ، ويتوافر على ذلك ما يعرف

باسم علم الانسان الجسمى أو الأنثربولوجيا الجسمية Physial

• Anthropology

٢ — دراسة الانسان ككائن اجتماعى ، ويتوافر على ذلك ما يطلق

عليه اسم علم الانسان الحضارى أو الأنثربولوجيا الحضارية Cultural

• Anthropology

هذا وتنشأ عن التقسيم السابق مجموعة من التفرعات ليس هنا مجال

توضيحها (٢) ، لكن ما يهمنا هو أن نوضح أن الأنثربولوجيا الاجتماعية

Social Anthropology ، تمثل احدى تلك التفرعات الرئيسية سواء اعتبرت

الأنثربولوجيا الاجتماعية فرعا من الأنثربولوجيا الحضارية كما ترى

المدرسة الأمريكية ، أو سواء اعتبرت قسما مستقلا من أقسام علم

الأنثربولوجيا بصفة عامة كما ترى المدرسة الانجليزية •

(\*) انظر محاولتنا في هذا المجال ضمن :

دكتور صلاح الفوال — سوسيلوجيا الحضارات القديمة — دار الفكر

العربى — القاهرة — ١٩٨٢ .

الا انه من المهم أن نتفق على أن الاهتمام الرئيسي للأنثربولوجيا الاجتماعية هو تحليل البناء الاجتماعى للمجتمعات الانسانية بصفة عامة ، والمجتمعات البدائية وشبه البدائية بصفة خاصة ، وذلك من خلال الدراسة المركزه للبناء الاجتماعى لتلك المجتمعات وتوضيح عوامل الترابط والتأثير المتبادل لمختلف النظم الاجتماعية بداخلها •

هذا وترتكز الأنثربولوجيا الاجتماعية فى دراساتها تلك للبناءات الاجتماعية للمجتمعات البدائية وشبه البدائية على مجموعة من الاتجاهات والطرق المختلفة ، كما انتظمت فى العديد من المدارس المتنوعة سواء من حيث الفلسفة أو المنهج وذلك ابتداء من المدرسة النشوئية ، والتطورية ، والانتشارية ، وأخيرا المدرسة الوظيفية (٣) \* •

وان كنا نعتقد أن أظهر تلك المدارس جميعا المدرسة الوظيفية التى أسسها راد كليف براون ، والتى تنهض على تصور نظرى مؤداه •• أن النظم الاجتماعية فى أى مجتمع ما هى الا نسيجا تتشابك عناصره ، وتؤثر كل منها فى الأخرى ، وتعمل تلك العناصر على خلق وايجاد وحدة اجتماعية تسمح للمجتمع بالبقاء والاستمرار والنمو (٤) •



### اهتمامات الأنثربولوجيا الاجتماعية :

لابد حتى نحدد ما بين الأنثربولوجيا وعلم الاجتماع من صلات ، أن نتعرف ولو فى عجالة على اهتمامات الأنثربولوجيا وخاصة الاجتماعية منها ، باعتبار أن الأنثربولوجيا الاجتماعية بالذات هى الأقرب صلة سواء من حيث الموضوع أو منهج الدراسة بعلم الاجتماع \* \* ، وذلك من

---

(\*) انظر حول الوظيفية فى علم الاجتماع كتابنا — معالم الفكر السوسيولوجى المعاصر — مرجع سابق ص ص ١٤١ — ١٤٨ .  
(\*\*) انظر مراجع هذا الجزء لتتعرف على الأنماط العديدة للأنثربولوجيا ، وكذلك لمدارس التفكير فيها وذلك ضمن الفقرتين (٢) ، (٣) ، ص ص ١٥٥ — ١٥٦ من هذا الكتاب .

خلال النقاط التالية :

( أ ) دراسة **النظم الاجتماعية** ، بغرض تحديد العلاقة والتأثير المتبادل بين تلك النظم بعضها وبعض سواء في ذلك المجتمعات التاريخية عن طريق ما خلفته من آثار وشواهد ، أو بالنسبة للمجتمعات المعاصرة من خلال الملاحظة المباشرة والمعايشة الكاملة أو شبه الكاملة لتلك المجتمعات •

( ب ) دراسة **المجتمعات الصغيرة** الحجم البسيطة التكوين ذات النسيج الاجتماعي المتكامل والمحدود والتي تمتاز بالبساطة سواء في الفنون الآلية أو في الاقتصاد مع قلة التخصص •

( ج ) من هنا يمكن القول بأن الأنثروبولوجيا الاجتماعية قد اهتمت بدراسة **البناء الاجتماعي** وخاصة للمجتمعات البدائية مع تأكيد مبدأ « الدراسة العميقة لمنطقة محدودة أو مشكلة معينة » •• (٥) •

( د ) هذا مع اعتبار أن الدراسات الميدانية أو **الحقلية** قد صارت تشكل اليوم المنهج الرئيسي لعلم الأنثروبولوجيا الاجتماعية •

( هـ ) توجد اتجاهات معاصرة نقلت بعض اهتمامات الأنثروبولوجيا الاجتماعية لدراسة **المجتمعات المتمدينة** ، وان كان ذلك لا يمنع من القول أن الاهتمام الرئيسي للأنثروبولوجيا الاجتماعية مازال يتركز حول المجتمعات شبه البدائية ، وهي مجتمعات صغيرة الحجم وتعيش حياة تكنولوجية بسيطة وان كان ذلك لا يعنى بساطة النظم الاجتماعية فيها ، لأن بعضها قد يعيش على الصيد أو جمع الثمار وفي نفس الوقت يطبق نظما قرابية أو دينية على درجة عالية من التعقيد ، وعلى النحو الذى أوضحناه ضمن كتابنا « علم الاجتماع البدوى » (٦) •



**نقاط الالتقاء والاختلاف بين كل من الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع :**

١ — هناك رابطة قوية تربط ما بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا ، ومن دلائل تلك الرابطة القوية التسمية التي أطلقها راد كليف براون على

الأنثروبولوجيا الاجتماعية باعتبارها علم الاجتماع المقارن ، ولم يطلق براون هذه التسمية على الأنثروبولوجيا جزافا ، وإنما يعود ذلك لطبيعة الدراسة في الأنثروبولوجيا الاجتماعية ، حيث تهتم بدراسة البناء الاجتماعي والتنظيمات الاجتماعية ، علاوة على اهتمامها بدراسة العادات •

ولعل هذه القناعة هي التي دفعت راد كليف براون ومالينوفسكي وغيرهما الى تبني الاتجاه **الوظيفي** كأحد الاتجاهات المتميزة في النظرية السوسيولوجية المعاصرة (٧) •

٢ — ومن الآراء ما يعتبر أن العلاقة ما بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا ، علاقة **تداخلية** ، وذلك من منطلق أن الأنثروبولوجيا وهي علم الثقافة ذات صلة قوية وعميقة بعلم الاجتماع ، خصوصا اذا ما تم التعامل مع الثقافة من منظور واسع باعتبارها محتوى لكل الأساليب التي تصوغ كل شيء في المجتمع بما في ذلك القيم ونماذج السلوك (٨) •

ومن هذا المنطلق نجد مثلا أن مجال الدراسة **مشتركا** ما بين علم الاجتماع وعلم الأنثروبولوجيا من وجهة نظر علماء المدرسة الأمريكية (٩) •

٣ — سبق أن أوضحنا **الصلات** القوية والعميقة التي تربط ما بين الأنثروبولوجيا الاجتماعية ، وبين علم الاجتماع **البدوي** — الذي كان لنا شرف السبق في الكتابة فيه لأول مرة عام ١٩٧٤ — كأحد الفروع الخاصة لعلم الاجتماع وقلنا باختصار \* :

( أ ) أن هناك تشابها كبيرا في **مجال** البحث بين كل من الأنثروبولوجيا الاجتماعية ، وعلم الاجتماع **البدوي** ، وان اختلفت مناهج البحث في كل منهما الى حد ما •

---

(\*) لمن اراد الاستزادة عليه ان يعود الى :  
دكتور صلاح الفوال — علم الاجتماع البدوي — مرجع سابق ص ص

( ب ) تهتم الأنثروبولوجيا الاجتماعية بدراسة البناء الاجتماعي والتنظيمات بالدرجة الأولى ، ثم يأتي بعد ذلك اهتمامها بدراسة العادات ، بينما يهتم علم الاجتماع البدوي بتحديد ظاهرة البداوة وتتبع مختلف مظاهرها ونظمها الاجتماعية والاقتصادية ، فضلا عن التعرف على طبيعة البنين الاجتماعي للمجتمع البدوي بوجه عام ، والتعرف على الخصائص الاجتماعية والنفسية والحضارية للجماعات البدوية بوجه خاص ، ولعل هذه النقطة الأخيرة هي التي تمثل أشد نقاط الالتقاء وضوحا بين علم الاجتماع البدوي والأنثروبولوجيا الاجتماعية .

( ج ) ما قدمته الأبحاث والدراسات الأنثروبولوجية من اسهامات واضحة ، أثرت ولاشك في مسيرة علم الاجتماع بوجه عام وعلم الاجتماع البدوي بوجه خاص ، وهذه النقطة بالذات سنعود لتتحدث عنها بالتفصيل فيما بعد (١٠) .

٤ - من العلماء من يعتبر أن هناك صلة افتراضية ثابتة بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا ، ويقولون أن من علامات تلك الصلة تأثر المدرسة الأنثروبولوجية الانجليزية بنظريات اميل دوركايم والتي أكدها راد كليف براون وخاصة فيما يتعلق بأفكار البناء الوظيفي (١١) .

٥ - ومع كل ذلك فان العديد من العلماء يؤكدون على وجود فروق جوهرية ما بين العلمين ، حيث تهتم الأنثروبولوجيا بدراسة الانسان البدائي أو غير المتعلم ، بينما يتناول علم الاجتماع بالدراسة الحضارات الأكثر تقدما ، ويرون أن هذه الحقيقة الأساسية تمارس تأثيرا كبيرا على مضمون العلمين وموضوعيهما ، حيث يميل الأنثروبولوجيون الى دراسة المجتمعات من كل جوانبها دراسة كلية شاملة ، بينما يميل علماء الاجتماع في الغالب الى دراسة قطاعات أو أجزاء معينة من المجتمع ، كأن يدرسوا نظاما معيناً أو عملية بعينها ، كدراسة الأسرة باعتبارها نظاما ، والحراك الاجتماعي باعتباره عملية (١٢) ... الخ .

٦ — وسع بعض العلماء دائرة الخلاف ما بين كل من الأنثربولوجيا وعلم الاجتماع ، وقالوا أن التقسيم التقليدي بين العلمين من حيث مجال الدراسة ، هو الذى يمثل أساس الخلاف بينهما ، حيث تهتم الأنثربولوجيا بدراسة المجتمعات البدائية ، بينما تعتبر المجتمعات الحديثة هى مجال الدراسة فى علم الاجتماع<sup>(١٣)</sup> ، ويتبعي آخر فان الوسط الطبيعى لعالم الأنثربولوجيا هو المجتمعات المحلية الصغيرة المكتفية بذاتها ، بينما يدرس عالم الاجتماع التنظيمات الكبيرة والعمليات الاجتماعية المعقدة<sup>(١٤)</sup> \* .

٧ — يرى العديد من العلماء أن هناك فرق جوهري آخر بين العلمين ، وهذا الفرق لا يكمن هذه المرة فى مجال الدراسة ، وانما يكمن فى أسلوبها أو فى المنهج المستخدم فى كل منهما ، حيث يميل الأنثربولوجيون عادة من خلال منهجهم الأنثربولوجى الى العيش فى المجتمع الذى يدرسونه حتى يمكنهم ملاحظة السلوك المدروس بطريقة مباشرة ، كما يسجلون ملاحظاتهم عن العادات والأعراف والتقاليد اما بطرق مباشرة أو مستعنين ببعض الأشخاص الذين يعرفون بالاخباريين وفق شروط خاصة ، ومن هنا كان المنهج الأنثربولوجى — فى رأى هؤلاء العلماء — هو بالضرورة منهج كفى أو علاجى ، لكن علماء الاجتماع غالبا ما يستخدمون منهجا للدراسة مختلفا ويعتمد بدرجة أكبر على الاحصاءات والاستبيانات وما تفرزه من بيانات كمية فى معظم الأحوال .

٨ — يميل عدد من علماء الاجتماع الأكثر تحيزا له الى الاعتقاد بأن الأنثربولوجيا الى زوال ، وأن مصيرها الى أن تصبح فرعا من فروع علم

---

(\*) الاتجاهات المعاصرة للأنثربولوجيا الاجتماعية تتجه نحو دراسة المجتمعات الحديثة لكن دون التخلف عن دراسة المجتمعات البدائية وشبه البدائية ، هذا فضلا عن أننا أثبتنا من خلال كتابنا « علم الاجتماع البدوى » أن هذه النقطة تعتبر نقطة لقاء لا نقطة خلاف — انظر هامش ص ٩٥ من المصدر المذكور .

الاجتماع مهمته الأساسية دراسة القيم والمجتمعات المحلية الصغيرة ،  
أو أن تذوب الأنثربولوجيا نهائيا فى اطار علم الاجتماع العام •

ويرتكز أصحاب هذا الرأى على أساس الادعاء القائل بأن علم  
الأنثربولوجيا قد ربط مصيره بوجود الشعوب البدائية ، وبما أن هذه  
الشعوب مصيرها الى التقدم والتحديث والانصهار ضمن المجتمع الكلى  
العام ، فان فرصة الأنثربولوجيا بالتالى فى البقاء كعلم متميز تكون هى  
الأخرى فرصة محدودة أو ضئيلة للغاية على حد تعبير أصحاب ذلك  
الرأى (١٥) •

وطبعا هذا الرأى مردود عليه ، سواء من خلال طبيعة الدراسة  
ذاتها للأنثربولوجيا بصفة عامة والأنثربولوجيا الاجتماعية بصفة خاصة ،  
أو سواء من خلال الاتجاهات المعاصرة التى توسع دائرة اهتمامات  
الأنثربولوجيا ، خصوصا وأن المنهج الأنثربولوجى للبحث قد توسعت دائرة  
استخداماته فى العديد من المجالات غير الأنثربولوجية كالمجال الصناعى  
وغيره من مجالات البحث التقليدية لعلم الاجتماع •

٨ - وفى المقابل فان الانثربولوجيين **الحديثين** ، يرون أن  
الأنثربولوجيا قد تجاوزت مرحلة الوصف الخالص للحياة الاجتماعية عند  
شعب من الشعوب وتأويلها بتلك الطريقة السهلة الشائعة التى تحاول  
تفسير ثقافة معينة بالذات بالرجوع الى ثقافة أو ثقافات أخرى ، وانما  
تهدف الدراسات **الحديثة** فى الأنثربولوجيا - لاسيما الحقلية منها - الى  
الوصف التحليلى التكاملى - على حد تعبير ايفانز بريتشارد - الذى يبرز  
الملامح الهامة فى الحياة الاجتماعية ، تلك الملامح التى تيسر فهم بناء هذه  
الحياة كما تيسر الوصول الى نظرية عامة (١٦) •

٩ - والأكثر من هذا فان علماء الأنثربولوجيا المعاصرين يميلون الى  
التفكير فى **حدود المجتمع** - أى حدود الأنساق والقيم الاجتماعية

والعلاقات القائمة بينهما — أكثر مما يميلون الى التفكير في حدود الثقافة<sup>(١٧)</sup> \* .

١٠ — هناك من يرى أن علم الأنثروبولوجيا أعم وأشمل من علم الاجتماع في دراسة الطبيعة البشرية ، لأن علم الاجتماع لا يدرس فقط الا الجانب الاجتماعي لهذه الطبيعة ، بينما توجد لذلك الانسان طبيعتين أخريتين ، واحدة حيوية والثانية نفسية .

ومن هنا نشأت الحاجة في رأى أصحاب ذلك الاتجاه الى قيام علم عام تكون مهمته دراسة الانسان في طبائعه أو حالاته الثلاث . . . الاجتماعية والحيوية والنفسية لأن تلك الحالات موجودة في ذلك الانسان بالسليقة .

وذلك العلم العام هو الأنثروبولوجيا الذى في مقدوره أن يستوعب الانسان كله ككائن حى واجتماعى له شعور جمعى وفردى ، ومن هنا فان الأنثروبولوجيا في رأيهم هى علم دراسة الانسان \* \* .

---

(\*) لقد كان هذا الاتجاه هو ركيزة الاتجاه الوظيفى في النظرية السوسولوجية المعاصرة ، خصوصا وأن مالمينوفسكى هو أول من طبقه خلال دراسته المشهورة عن مجتمع « التروبريانند » .

(\*\*) علم دراسة الانسان في نظر هؤلاء ينبغى ان يكون شاملا لعلم الحياة وعلم النفس وعلم الاجتماع ، لأن هذه العلوم تدرس ظواهر مختلفة متداخلة ومتفاعلة في الانسان بالطبيعة ، فلا ينبغى أن تنعزل عن بعضها وانما يتحتم أن تكون متكاملة لدراسة هذا الانسان ككل ، وبالتالي يجب اعتبار الظاهرة الاجتماعية — التى هى موضوع الدراسة في علم الاجتماع من وجهة نظرهم — ظاهرة كلية ذات أبعاد ثلاثة . . حيوية ونفسية واجتماعية . هذا ويتزعم ذلك الاتجاه العالم الفرنسى الكبير خليفة دوركايم مارسل موسى ، للاستزادة انظر :

مارسل موسى — علم الاجتماع والأنثروبولوجيا — ترجمة وتقديم الدكتور محمد طلعت عيسى — مكتبة القاهرة الحديثة — القاهرة — ١٩٧٢ — ص ص ١٨ — ٥ .

١١ — من العلماء من يرى أن التمايز بين كل من علمى الاجتماع والأنثربولوجيا سوف يستمر ، ويرون أنه لا يمكن أن يحدث امتزاج بينهما فى المستقبل المنظور على الأقل .

وهذا التباعد بين كل من العلمين ، هو لتأكيد حقيقة كل منهما من جهة ، ودعما للفكر الانسانى ذاته من جهة أخرى لأن الرابع الأخير فى السباق العلمى بينهما هو الانسان الذى يسعى كل منهما لدراسته سواء على المستوى النظرى أو على المستوى التطبيقى بوسائل وطرق ، بل وبمناهج مختلفة ، أن مكاسب ذلك الانسان لا يمكن تأكيدها الا فى ظل ذلك التنافس الشريف بين كل من علم الاجتماع والأنثربولوجيا \* .



## المصادر والتعليقات

١ — للاستزادة حول نشأة الأنثروبولوجيا انظر :

( أ ) ايفانز بريتشارد — الأنثروبولوجيا الاجتماعية — ترجمة للدكتور أحمد أبو زيد — منشأة المعارف — الاسكندرية — ١٩٦٠ .

( ب ) الدكتور أحمد الخشاب — دراسات أنثروبولوجية — دار المعارف — القاهرة ١٩٧٠ .

( ج ) الدكتور عاطف وصفي — الأنثروبولوجيا الاجتماعية — دار المعارف — القاهرة ١٩٦٨ .

( د ) دكتور ابراهيم رزقته — العائلة البشرية — القاهرة — ١٩٥٠ .

( هـ ) Evans, Pritchard, Social Anthropology, London, 1951.

وانظر ايضا الترجمة التى اعدھا الدكتور أحمد بدوى عنه — القاهرة — ١٩٥٨ ، وهى خلاف الترجمة التى قدمھا الدكتور أحمد أبو زيد والنوه عنها قبلا .

٢ — من هذه التفريعات ما يأتى :

( أ ) علم حفريات ما قبل التاريخ Prehistoric Archaeology ، ويهتم ذلك العلم بصفة أساسية بجمع وتحليل الآثار والمخلفات البشرية التى يستدل منها على التسلسل التاريخى للأجناس والعائلات البشرية .

( ب ) علم التطور البشرى Human Evolution ، ويعتبر امتدادا طبيعيا لدراسة حفريات ما قبل التاريخ ، حيث يعنى هذا العلم بتتبع مختلف التطورات التى طرأت على النوع البشرى سواء منها ما كان فيزيقيا أو نفسيا أو عقليا ، مع اهتمام ذلك العلم بمحاولة تتبع مختلف الآثار الحضارية التى لازمت العصور السحيقة فى القدم .

( ج ) علم السوماتولوجى Somatology ، ويطلق عليه أيضا علم الأنثروبومتري Anthropometry ، ويهتم بدراسة مختلف الخصائص الطبيعية والفيزيكية للسلاسل والعائلات البشرية والتى تميزها عن سواها .

( د ) علم الأنثولوجيا Ethnology ، ويطلق عليه علم الأنثروبولوجيا

الثقافية *Cultural Anthropology* ، وهو يهتم بالدراسات المتعلقة بنشأة السلالات والأصول الأولى للنوع الانساني العاقل ، وهذا العلم بهذا المفهوم يحتوى على دراسة أصول الثقافة والمناطق الثقافية المختلفة علاوة على دراسته لأسباب هجرة وانتشار الثقافة فضلا عن دراسة الخصائص النوعية لكل منها ، ولقد أخذت الأنثروبولوجيا الثقافية تستأثر باهتمامات متعددة خلال الربع الأخير من هذا القرن ، هذا ومن أبرز الموضوعات التى تناولها هذا العلم موضوعات .. الثقافة ، الحضارة ، والعلاقة ما بين كل من الثقافة والحضارة ، مع تحديده للأنماط وللمناطق الثقافية ، علاوة على دراسته للغة من حيث خصائصها ومقوماتها وفروعها ودورها فى انتقال الثقافة فضلا عن الاهتمام بالفلكلوريات .

هذا ويمكن للقارئ العزيز أن يجد تفصيلات لما أجمناه ، علاوة على اضافات مؤكدة سواء من حيث فروع الأنثروبولوجيا أو من حيث اهتماماتها وطبيعة الدراسة فيها علاوة على مناهجها وطرقها فى البحث تحقيقا للأهداف التى تسعى اليها ضمن أى من المصادر المشار اليها فى الفقرة (١) .

٣ — حول المدارس الأنثروبولوجية ، يقول استاذنا المحرم الدكتور أحمد الخشاب فى كتابه دراسات أنثروبولوجية المشار اليه ، يقول : « ان السؤال عن أصل النظم الاجتماعية قد خلف لنا .. المدرسة النشئية .. ، والسؤال عن .. تطورها تولت الاجابة عليه .. المدرسة التطورية ، أما موضوع انتشارها فقد شغل ومازال يشغل طائفة من العلماء الذين يسمون بالانتشاريين أو .. المدرسة الانتشارية ، الى أن انتهت الأنثروبولوجيا باعطاء الأهمية لوظيفة الظاهرة الاجتماعية فى تكامل وديناميكية المجتمع وتفسير ذلك عند .. المدرسة الوظيفية » انظر ص ص ١٤٤ — ١٤٦ من المصدر المشار اليه .

٤ — دكتور صلاح الفوال — علم الاجتماع البدوى مرجع سابق ص ص ٩٢ — ٩٤ .

٥ — Hammond, Cultural and Social Anthropology, New York, 1965, p. 474.

وانظر أيضا :  
الدكتور عاطف وصفى — الأنثروبولوجيا الاجتماعية — مرجع سابق ص ص ٦٣ .

٦ — انظر :  
دكتور صلاح الفوال — علم الاجتماع البدوى — مرجع سابق — الباب

الثالث الخاص بالبناء الاجتماعى للمجتمعات البدوية ص ص ١٧٧ — ٣٠٠ .

٧ — انظر الاتجاه الوظيفى ضمن :  
دكتور صلاح الفوال — معالم الفكر السوسولوجى المعاصر — مرجع  
سابق ص ص ١٤٣ — ١٤٧ .

٨ — الثقافة من منظور محدود هى « ذلك النسق من الرموز الذى يضم اللغة  
والقيم السائدتين فى مجتمع ما » ، أما الثقافة من منظور أوسع فتعنى « أن  
الثقافة تحتوى على كل الأساليب التى يمكن عن طريقها صنع الأشياء بما  
فى ذلك القيم السائدة والاجراءات النظامية العامة » .

للاستزادة انظر :  
دكتور صلاح الفوال — علم الاجتماع .. المفهوم والموضوع والمنهج —  
دار الفكر العربى — القاهرة — ١٩٨٢ ص ص ٩٣ — ١٠٢ .

٩ — الأمر مختلف بالنسبة للمدرسة الانجليزية حيث تحتل فيها الأنثربولوجيا  
وضعا متميزا عن علم الاجتماع سواء من الناحية الأكاديمية أو التقاليد  
العلمية .

١٠ — انظر نماذج لتلك الأبحاث والدراسات ضمن :  
دكتور صلاح الفوال — علم الاجتماع البدوى — مرجع سابق — ص ص  
٣٤١ — ٣٨٣ .

١١ — انظر دكتور محمد عاطف غيث — علم الاجتماع — الجزء الأول —  
دار المعارف — القاهرة — ١٩٦٦ ص ١٧٦ .

١٢ — للاستزادة انظر — دكتور محمد الجوهري وزملاؤه — دراسة علم  
الاجتماع — مرجع سابق ص ٤٣ .

١٣ — للاستزادة انظر — دكتور عبد الحميد لطفى — الأنثربولوجيا الاجتماعية —  
مرجع سابق ص ٨٦ .

١٤ — انظر — دكتور محمد الجوهري وزملاؤه — دراسة علم الاجتماع — مرجع  
سابق ص ٤٣ .

١٥ — المصدر السابق ص ص ٢٣ — ٤٤ .

١٦ — للاستزادة انظر :  
ايفانز بريتشارد — الأنثربولوجيا الاجتماعية — ترجمة الدكتور أحمد  
أبو زيد — مرجع سابق ص ١٣٢ وما بعدها .

١٧ — المصدر السابق ص ١٣٨ .

## المبحث الثاني

### الثقافة •• علامة لقاء بين الاجتماع والأنثربولوجيا

- \* الثقافة •
- \* الحضارة والثقافة •
- \* الأنماط الثقافية •
- \* المناطق الثقافية •
- \* الانتشار الثقافي •

\* \* \*

### \* موضوعات اللقاء بين الاجتماع والأنثربولوجيا :

سنتحدث هنا عن عدة موضوعات تستقطب اهتمامات الأنثربولوجيا ،  
والتي تلتقى في نفس الوقت اهتماما خاصا من علم الاجتماع المعاصر ،  
كموضوعات الثقافة والنظم والفلكلوريات ، وذلك من وجهة نظر أنثربولوجية ،  
ثم نتحدث بعد ذلك عن ما يعرف بالأنثربولوجيا التطبيقية من خلال عرض  
سريع لبعض النتائج الهامة للدراسات الأنثربولوجية خصوصا تلك التي  
تركت بصماتها على مسيرة علم الاجتماع •

### \* الثقافة والأنثربولوجيا :

يتوافر اليوم على دراسة الثقافة من وجهة نظر أنثربولوجية ما يعرف  
بالأنثربولوجيا الثقافية Cultural Anthropology •

ومن الأنثربولوجين من يعتبر الأنثربولوجيا الثقافية « الأثنولوجيا »  
قد شكلت علما مستقل بذاته مع الربع الأخير من هذا القرن ، وشكلت  
دراسة الأصول الأولى للإنسان العاقل بما في ذلك أصول الثقافات ومنشؤها

وهجراتها وانتشارها والخصائص المميزة لكل منها ، شكل كل ذلك محور اختصاص ذلك العلم \* \*

## ١ - الثقافة Culture :

لازال التعريف الذى قدمه تيلور Tylor للثقافة من خلال كتابه « الثقافة البدائية » ، مقبولا من الأنثربولوجيين ، حيث عرفها بأنها « ذلك الكل المركب الذى يشمل المعرفة والعقيدة والفن والأخلاق والقانون والعادات الاجتماعية وكل القدرات الأخرى التى يكتسبها الانسان باعتباره عضوا فى جماعة » (١) \* \* \*

والثقافة بهذا المفهوم تدرس من طرف فروع عديدة للأنثربولوجيا ، لاسيما من طرف كل من الأنثربولوجيا الاجتماعية والأنثربولوجيا الثقافية ، ولكن يبقى دائما اختلاف بينهما سواء من حيث منهج الدراسة أو هدفها ، فالأنثربولوجيا الثقافية « الأنثربولوجيا » تهتم بدراسة الظاهرة الثقافية من خلال صياغة الحقائق المتعلقة بها فى سياق التاريخ وعلم النفس ، بينما تهتم الأنثربولوجيا الاجتماعية أثناء دراستها لتلك الظاهرة الثقافية بتتبع مختلف العلاقات التى تربط الظاهرة المبحوثة بغيرها من الظواهر من خلال البنية الاجتماعية العامة للجماعة أو المجتمع الذى يحتوى تلك الظاهرة (٢) .

كما تشمل الثقافة بهذا المفهوم كل الصفات الموروثة فى المجتمع ، بما تضمه تلك الصفات من عادات وتقاليد وقيم فضلا عن مختلف الفنون السائدة فى المجتمع وما يصاحبها من تقدم علمى أو فكرى .

---

(\*) تعرف الأنثربولوجيا الثقافية ، بأنها العلم الذى يدرس أصول الثقافات الانسانية ، علاوة على تاريخها وتطورها ، كما تدرس بناء الثقافات الانسانية ووظائفها فى كل الأزمنة والأمكنة .

(\*\*) يستخدم مفهوم الثقافة من طرف العديد من الأنثربولوجيين المحدثين باعتبارها — أى الثقافة — أسلوب الحياة الذى يميز مجتمعا عن آخر ، وتضم الثقافة بناءا على ذلك المفهوم كل الأنماط السلوكية المكتسبة .

## ٢ - الحضارة والثقافة Civilization and Culture :

قد يطلق على الثقافة مصطلح آخر مرادف هو الحضارة ، الا أن هناك من العلماء من يرى ضرورة الفصل بين الثقافة Culture كمصطلح والحضارة Civilization كمصطلح آخر ، ويستند دعاة ذلك التفريق على أن **الثقافة** انما تطلق على « الأمور غير المادية في المجتمع » ومنها المعتقدات والمعارف والقيم والعادات والتقاليد ومختلف صور الفن ومظاهره .

بينما يدل مصطلح **الحضارة** على « الأمور المادية في المجتمع » لاسيما الاختراعات بما فيها التنظيمات التي يبتكرها المجتمع لتحقيق أهدافه ودعم كيانه ، كما يدل مصطلح الحضارة أيضا على « مختلف التطورات التي تلحق بتلك الجوانب المادية في المجتمع » كالتطور الناشئ في مجال الصناعة أو الزراعة أو الاتصالات خصوصا ما تم منها وفقا للمخترعات والاكتشافات العلمية .

وهناك من يرى أن **التفرقة** بين مصطلحي الحضارة والثقافة لا تنهض على أساس مقنع ، وذلك للتضافر الموجود بين الجانب المادى وغير المادى للثقافة ، ويرون أن المخترعات المادية كلها كانت فيما مضى فكرة أو مجرد خيال \* .

وما لبث أن برز رأى يصحح مسار **العلاقة** بين شطرى الثقافة ، ويرى أنه

---

(\*) الخيال العلمى لعب ويلعب دورا أساسيا وحاسما في التقدم العلمى ذاته ، حتى وان كان ذلك الخيال خيال كاتب في قصة أو رواية ، وقبل عصر الصواريخ وصعود الانسان الى القمر وقرب وصوله الى المريخ ، كان ذلك كله مجرد خيال في قصة كاتب أو قصيدة شاعر ، وطبعا هناك فرق كبير بين الخيال العلمى ، والخيال الأدبى ، فالأول جزء من المنهج العلمى ، والثانى نتاج احلام شاعر أو أديب ، فالأول يتخيل علاقات وتصورات عسى أن تسهم في الإجابة عن سؤال بحثه المطروح ، والثانى شطحات وجدان أو تفضات عقل فوق حاجز الزمن والمكان لرسم صورة تهيم فى خاطره ، لكن يبقى دوما للثنتين - خيال العالم وشطحات الأديب - دورهما المؤثر فى تقدم العلم .

لا مانع من استخدام مصطلح « الحضارة » للتعبير أو للدلالة عن مستويات الثقافة الأكثر تقدما .

ولكن يبدو أن تلك المحاولة التوفيقية ستجلب العديد من المشاكل للأنثروبولوجيين بالذات حيث سيكون هناك مستويات لدراسة الثقافة سواء على مستوى المجتمع الواحد أو على مستوى المجتمعات المتقدمة منها والمتخلف ، بمعنى أننا سندرس تارة العناصر المتقدمة من الثقافة داخل نطاق الجماعة أو المجتمع الواحد ، ثم ندرس تارة أخرى المجتمعات التي تتميز بثقافة كلية متقدمة ، وتلك التي لا تتميز بنفس الصفة ، مع عدم اغفال صعوبة التفريق بين ما هو متقدم وما هو غير متقدم سواء بالنسبة للثقافات أو المجتمعات نظرا لنسبية التقدم كمفهوم من جهة ، ولغيبية معايير موضوعية لقياس ذلك التقدم من جهة أخرى .

لذلك فإن الأنثروبولوجيين لا يفرقون بين مصطلحي الحضارة والثقافة ، بل يستخدمون المصطلحين للتعبير عن نفس الحقيقة ، ومبررهم في ذلك تعريف تيلور للثقافة الذي أسلفناه والذي يتضح من خلاله التضامن العضوي بين عنصرى الثقافة المادى منها وغير المادى .

### ٣ - الأنماط الثقافية Culture Patterns

وتعنى كلمة نمط Pattern أن الشيء يأخذ شكلا متكررا ، أما النمط الثقافى فهو تعبير عن طريقة عمل أو اعتقاد ما يعتبر مألوفا لفئة من الناس (٣) .

ومن العلماء من يرى أن الأنماط الثقافية ما هي الا تلك الوحدات التي تتألف منها الثقافات ، وأن لهذه الأنماط خصائصها المميزة لها ، والتي تستمد منها كل ثقافة مظهرها العام ، ذلك المظهر الذى يميزها عن باقى الثقافات الأخرى ويطبعا بطابعها الخاص ، وتأخذ الثقافة مظهرها العام

وفقا لترتيب الأنماط الثقافية التي تتألف منها ووفقا للعلاقات التي تربط بين عناصرها بحيث ينتج عن هذا كله مركب جديد يطلق عليه « المورثات الثقافية » (٤) .

وهذه المورثات الثقافية هي المسئولة عن نقل الشكل العام للثقافة عبر الأجيال المتتالية .

هذا وتأخذ أنماط الثقافة عدة مسميات حسب طبيعتها وحجمها ، فمنها ما هو صغير جدا يسمى « سمة ثقافية Culture Trait » ، ومن أمثله نوع غطاء الرأس في مجتمع من المجتمعات ، وعندما تترابط السمات الثقافية وتتجمع في تسلسل منطقي تكون معا ما يعرف « بالمركبات الثقافية Culture Complex » ومن أمثلة تلك المركبات الطريقة التي أتبعته في صنع غطاء الرأس ذاته بدءا من تجميع قشه أو قماشه حتى يأخذ صورته المركبة كغطاء للرأس .

ومن تلك الأنماط ما هو اجبارى Compulsory ، ومنها ما هو اختياري Alternative ، والنمط الثقافي يكون اجباريا عندما تسلك الثقافة طريقا ملزما في مواجهة موقف ما ، ويكون ذلك النمط اختياريًا ، عندما تكون هناك فرصة للاختيار بين عدد من الأنماط المتشابهة أو المتقاربة \* .

ومنها أيضا ما هو واسع الانتشار أو شائع Typical ومنها ما هو محدود Restricted النطاق أو محلي ، والنمط الثقافي الشائع ، هو الذي يسود على نطاق مكاني واسع — عدة مجتمعات مثلا — أو تراعيه أعداد كبيرة من الناس ، أما النمط المحدود ، فهو الذي يسود في مجتمع محلي ضيق أو تراعيه نوعيات قليلة من الناس داخل مجتمع واحد ، ومن أمثلة النوع الأول الممارسات الخاصة بالزواج أو الموت أو الطلاق طبقا للشريعة

---

(\*) من أمثلة الأنماط الاجبارية ، ما يتبع عند الأخذ بالثأر أو الانتقام في مجتمعات كثيرة خصوصا في دول العالم الثالث ، ومن أمثلة الأنماط الاختيارية ما يتصل باختيار الملابس أو الأطعمة وما إليها .

الاسلامية في المجتمع الاسلامى أو طبقا للشرعية المسيحية في المجتمعات المسيحية ، ومن أمثلة النوع المحدود ، التقاليد الخاصة بمهنة الطب أو المحاماة أو الخدمة الاجتماعية ، أو المتصلة بإجراءات الخطبة أو الاحتفال بالأبناء الذكور وما إليها \* (٥) .

#### ٤ - المناطق الثقافية Cultural Areas :

يقصد بالمناطق الثقافية المجال الجغرافى الذى تنتشر فيه الأنماط الثقافية ، بشرط أن يكون هناك نمط أو مجموعة من الأنماط المتشابهة هى السائدة فى تلك المنطقة أو المناطق ، وبحيث يكون للثقافة فى منطقة ما سمات تميزها عن غيرها من الثقافات .

والملاحظ تبعا لذلك أن الثقافة المصرية تختلف عن الثقافة الهندية مثلا ، والثقافة الأفريقية بصفة عامة تختلف عن الثقافة الآسيوية بصفة عامة أيضا ، وأن كلا منهما يختلف عن الثقافة الأوروبية أو الأمريكية الى حد كبير .

كما يلاحظ بنفس القدر أن الثقافة الاسلامية التى قد تضم بلادا من آسيا وأفريقيا وأوروبا تختلف اختلافا كبيرا عن الثقافة المسيحية التى قد تنتشر فى أوروبا وآسيا وأفريقيا .

هذا ومن تلك المناطق ، كما يتضح مما سبق - ما هو محدود النطاق \* \* ، ومنها ما هو واسع النطاق ، والضيق والاتساع هنا نسبى ولا يحكم عليه الا بالمقارنة بغيره .

---

(\*) هذا ويوجد نمط آخر يطلق عليه النمط المفضل Preferred ، ويرتكز هذا النمط على وجود عدة انماط سلوكية يمكن للفرد ان يتبعها ولكنه يفضل فقط واحدا منها ، ولكننا نرى أن هذا النمط يمكن أن يندرج تحت النمط الاختيارى السابق الاشارة اليه .

(\*\*\*) المناطق الثقافية المحدودة النطاق ، تعرف باسم المناطق الثقافية الهامشية .

كما يؤكد علماء الأنثروبولوجيا الثقافية أن لكل منطقة ثقافية مركزا ثقافيا أو بؤرة ثقافية تبلغ خلالها السمات الثقافية أكثر درجات الكمال والوضوح والاشعاع ، بمعنى أن الثقافة تكون خلال ذلك المركز في أكثر حالات كمالها وسيطرتها وقدرتها على التأثير والانتشار فيما حولها من مناطق .

فمثلا القاهرة هي المركز الثقافي لجمهورية مصر العربية ، وطوكيو هي المركز الثقافي لليابان وباريس هي المركز الثقافي لفرنسا . الخ .  
وقد يكون ذلك المركز مركزا محليا أو اقليميا أو قوميا أو عالميا في نفس الوقت ، فمكة المكرمة أو المدينة المنورة أو القدس ، لا تعتبر مراكز ثقافية للمملكة العربية السعودية أو لفلسطين فقط ، وانما هي كذلك بالنسبة للعرب جميعا ، ولكل المسلمين والمسيحيين في شتى أنحاء العالم .  
أما عن الطرق المستخدمة في تحديد المناطق الثقافية ، وعن المعايير التي يجب أن تتخذ لذلك ، فهي حتى اليوم مجال خلاف كبير بين علماء الأنثروبولوجيا الثقافية .

فمنهم من يرى أن أساس التقسيم يجب أن يكون مرتكزا على التقسيمات الطبيعية التي تقسم العالم الى مناطق جغرافية ونباتية معينة ، وقسم العالم بناء على ذلك الى ثلاثة مناطق حضارية متميزة هي :

( أ ) التندرا Tundra ، وتضم الشمال الأوروبى وروسيا وسيبيريا ومنغوليا وكندا وشرق الولايات المتحدة والأرجنتين ، ويرى أصحاب ذلك التقسيم أن الفن في منطقة التندرا ابداعى وواقعى .

( ب ) الميزا Meas ، وتشمل هذه المنطقة جنوب أوروبا وشمال أفريقيا ومصر والعراق والصين ولبنان ، والفن فيها تقليدى ، كما ضمت هذه المنطقة الحضارات القديمة كلها تقريبا .

( ج ) الغابات الاستوائية Jungle ، وتوجد منطقة الغابات الاستوائية هذه في آسيا وحوض الأمازون ، والفن فيها شهوانى .

ويرى أصحاب هذا الرأي أن المعيار أو المقياس في تقسيم الحضارات أو الثقافات الى مناطق يعتمد هنا على النظم الزوجية ، والطرق المستخدمة في استئناس الحيوانات ونوعية الحيوان المستأنس ، كما يعتمد كذلك على أنواع الأطعمة وكيفية اعدادها (٦) .

ويرى فريق آخر أن تصنيف الثقافات يجب أن يرتكز على أساس درجة الارتباط وحجم التكامل الموجود بين عناصر الثقافة الواحدة ، وشكلت آراء الباحثة روث بندكت أساس ذلك التصنيف الذي ينطلق من مبدأ « أن لكل ثقافة مظهرا عاما كليا » ، وأطلقت بنعتك على هذا المبدأ مصطلح « Culture Configuration » ، وهذا المبدأ ينهض على أساس أن الظروف البيئية الاجتماعية والطبيعية تنعكس على سلوك ومواقف الأفراد التابعين للجماعات التي تحيا في ظل تلك الظروف (٧) \* .

ثم ما لبث بعد ذلك أن نهض اتجاه جديد ، تمخض عن ما يعرف بنظرية « الآفاق والدوائر الثقافية Culture Circles » ، والتي توضح الصلة التاريخية بين مختلف الثقافات الموجودة في قارتي آسيا وأفريقيا ، وأن ذلك الأصل الثقافي الواحد يكاد يكون متحدا سواء من حيث المظاهر المادية أو الاجتماعية أو الروحية (٨) .

كما برز تصنيف خامس للثقافات اعتمد على عدة مقومات منها ، نوعية البيئة الجغرافية والاجتماعية والطبيعية السائدة ، بما في ذلك النظم الاجتماعية والأعراف والأساطير ، ومنها نوعية الثقافة المادية السائدة خاصة ما تعلق منها بالتكنولوجيا وطريقة تعامل الانسان مع الآلات الصناعية ، ومنها كذلك الفنون السائدة (٩) .

هذا وقد تعرض أحد علماء الاجتماع البرزين وهو سوروكين لنفس الموضوع وحاول أن يقسم الثقافة الى دوائر تتصل بالحضارة المادية

---

(\*) تعتبر نظرية بندكت هذه والتي تضمنها كتابها « الأنماط الثقافية » الذي صدر عام ١٩٣٥ ، أساسا لنظريات أخرى كثيرة فيما بعد .

كاستعمال الآلات والمخترعات والمكتشفات ، والدوائر المتصلة بالحضارة غير المادية كظهور وزوال بعض العقائد والطوائف الدينية أو بعض النظم السياسية (١٠) .

هذا ويمكن اجمال العناصر المتكاملة للثقافة في عدد من المحتويات منها ، اللغة ، والخصائص والمقومات المادية ، والخصائص والمقومات الأيديولوجية العقائدية ، والعقيدة الدينية وطقوسها ومراسيمها ، والخرافات ، والمعرفة العلمية ، والفنون بأنواعها المختلفة ، والأنظمة الاجتماعية والعائلية ، ونظام الملكية ، والنظام السياسى ، ثم حالة السلم والحرب (١١) .

#### ٥ - الانتشار الثقافى :

يقصد بالانتشار الثقافى ، انتقال الأنماط الثقافية من مجتمع الى آخر أو من جماعة الى جماعة أخرى أو من وسط أو مجال ثقافى الى وسط أو مجال آخر .

أما كيف تتم عملية الانتشار الثقافى ، فان الثقافات تنتقل عن طريق الأفراد أو الجماعات وربما عن طريق انتقال مجتمعات بأسرها ، كما هو الحال بالنسبة للتهجير الجماعى لمجتمعات محلية معينة بغرض إعادة توطينها فى مجتمعات أخرى سواء أكان هذا التهجير لأسباب ارادية أو أسباب غير ارادية (١٢) .

الا أن انتقال الثقافة وانتشارها عن طريق الأفراد أو الجماعات أو المجتمعات ، لم يعد اليوم مع تطورات العصر التكنولوجية خاصة فيما يتعلق بوسائل الاتصال ، لم يعد سوى طريقة تقليدية تجد منافسة شديدة من وسائل الاتصال الأخرى كالإذاعة والتليفزيون وغيرها من وسائل الاعلام

المقروءة أو المسموعة... الخ \* .

هذا والانتشار الثقافي يتم اما بشكل تلقائي أو بشكل مخطط ، والشكل **التلقائي** دائما يأخذ الصورة الفردية في شكل هجرات يقوم بها أشخاص يتركون أوطانهم الأصلية لأسباب متعددة لا يعيننا هنا ذكرها بقدر ما يعيننا أن نذكر أن هؤلاء الأفراد خلال هجرتهم من أوطانهم الأصلية الى الأوطان المضيئة ينقلون معهم بطريقة شعورية أو لا شعورية مختلف أنماطهم وسماتهم الثقافية ، وقد تجد تلك السمات والأنماط قبولا لدى سكان المجتمعات المضيئة ، فيكتب لتلك السمات والأنماط الحياة من جديد ، وتموت تلك السمات والأنماط بالقطع لو لم تصادف هوى وقبولا من المجتمع المضيف .

كان ذلك عن الشكل التلقائي للانتشار الثقافي ، أما اذا كان الانتشار **مخططا** له من قبل ويتم في اطار هجرة جماعية منظمة أو حملة استعمارية تفرض أنماطها وسماتها الثقافية على الشعوب المقهورة بقوة السلاح ، أو من خلال علاقات ثقافية تبادلية أو منظمة بين الدول وبعضها أو من خلال حملات اعلامية أو عروض فنية أو ما شابه ذلك بهدف عرض أنماط وسمات ثقافية معينة لمجتمع ما على مجتمعات أخرى وبأسلوب علمي عصري ، على أمل أن يصادف بعضها هوى فينتقل ثم يختلط أو يتشابك مع غيره من الأنماط والسمات الثقافية المحلية ، وربما تكون له الغلبة في النهاية لسبب أو لآخر .

لكن تبقى عملية الانتشار الثقافي دوما رهنا بعدة أمور ، بعضها يعود

---

(\*) صور الانتشار الثقافي ووسائله كثيرة ومنوعة ، منها الهجرة الخارجية ومنها الاستعمار الذي يفرض أنماطه الثقافية على المجتمعات المحتلة ، ومنها مختلف صور الاحتكاك الدولي كالعلاقات التجارية أو الارساليات الدينية ، هذا ومن الصور المألوفة والمعترف بها اليوم المراكز الثقافية للدول والتي تعتبر أحد مقومات بعثاتها الدبلوماسية لدى الدول الأجنبية ، وأولى مهام هذه المراكز العمل على نشر ثقافتها الوطنية في الدول الأخرى مع تشجيع مختلف عمليات وصور الاحتكاك الثقافي بين بلدها الأصلي والبلد المضيف .

لطبيعة الثقافة المهاجرة ، وبعضها يعود الى المجتمعات المضيفة ، ومن أهم ما يخص الثقافات المهاجرة ضرورة احتوائها على عناصر أو أنماط أو سمات جديدة أو غير مألوفة بالنسبة للمجتمعات المطلوب تصديرها اليها ، أما فيما يخص المجتمعات المضيفة للثقافات المهاجرة ، فلا بد أن تكون تلك المجتمعات أو على الأقل قطاعات رئيسية منها مهيئة لتقبل الثقافة الوافدة ، وطبعاً لن يحدث هذا ولا ذاك الا اذا كانت هناك أرضية مشتركة أصلاً بين البيئتين المصدرة والمضيفة للثقافة ، والأرضية المشتركة التي نعنيها ، هي أن تجمع المجتمعين وحدة اللغة أو الدين أو الأصل أو الاحساس بخطر خارجي مشترك .

هذا وتوجد نظريات كثيرة تحاول كل منها أن تفسر كيفية الانتشار الثقافي ، وأن توضح أصول الأنماط الثقافية ، فهناك على سبيل المثال نظريات المصدر الواحد ، أو المصادر المتعددة ، أو الاستعداد الثقافي ، وكلها تحاول ارجاع ظاهرة نمو وانتشار الأنماط الثقافية اما على اعتبار أن الأصول كلها واحدة ثم تبعها انتقال وانتشار من مجتمع الى آخر ، أو أن تلك الأنماط الثقافية قد نشأ كل واحد منها في وسط مختلف ومنفصل وأخذ كل منها اما خطأ متوازي لا يسمح أبداً بأي اندماج أو التقاء ، واما أخذ كل نمط خطأ مستقلاً لكنه متلاقياً يسمح بوجود نقاط التقاء مشتركة بين مختلف تلك الأنماط الثقافية المتعددة ، ونقاط الالتقاء تلك فيها الكثير من التشابه بين مختلف الأنماط الثقافية المكونة لها .

أما أصحاب الاستعداد الثقافي فيرون أنه يوجد دائماً قدر من الاستعداد لتقبل الثقافات الواردة لدى المجتمعات المضيفة ، ويؤكدون أن الاستعمار قد استغل هذه النقطة بالذات خلال سعيه لفرض سيطرته الثقافية على الشعوب المقهورة على الرغم من الاختلافات الواضحة والمتباينة بين الاستعمار والمستعمرات في اللغة والدين والأصل والهدف . . . الخ .

## المصادر والتطبيقات

Tylor, Primitive Culture, Pt. I (1870) Knowledge, Belief, Art, — ١  
Morais Law, Custom and any other Capacities and Habits acquired  
by man as a member of society.

وانظر أيضا :

دكتور أحمد الخشاب — دراسات أنثروبولوجية — مرجع سابق ص ٤٢ .

٢ — ضرب إيفانز برتشار مثلًا لذلك الفرق في دراسة الثقافة من وجهة نظر كل من الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية خلال كتابه « الأنثروبولوجيا الاجتماعية » من خلال ظاهرة عبادة الأسلاف أو عبادة أرواح الموتى حيث قال :

انه في حال دراسة مثل هذه الظاهرة . فان عالم الأنثولوجيا يدرس عبادة الأسلاف كجزء من الثقافة العامة ، حيث يعنى بدراسة الأعمال والعادات والممارسات التى يقوم بها معتنقوا هذه الديانة ، وقد يلجأ عالم الأنثولوجيا « الأنثروبولوجيا الثقافية » الى التبرير والتفسير الاستنباطى أو النفسى فى علاج الممارسات التى يلجأ اليها أفراد المجتمع المبحوث تجاه الأرواح التى يعبدونها — كتقديمهم للقرابين فى المناسبات الدينية ، واقامتهم بعض الطقوس الدينية خصوصاً الجانب الجنائزى منها — ، كما يحاول ارجاع كل ذلك الى أصوله الأولى .

اما الباحث فى مجال الأنثروبولوجيا الاجتماعية فانه يفسر ظاهرة عبادة أرواح الأسلاف فى ضوء النظم الاجتماعية الأخرى المتصلة بالظاهرة المبحوثة ، وذلك باعتبار الظاهرة عنصراً من عناصر النسق الاجتماعى الكلى العام للجماعة أو المجتمع المدروس .

للاستزادة انظر :

Evans Pritchard, Social Anthropology, op. cit. ( ١ )

( ب ) دكتور أحمد الخشاب — دراسات أنثروبولوجية — مرجع سابق .

( ج ) وحول عبادة أرواح الأجداد أو عبادة السلف Ancestor - Worship  
انظر : دكتور صلاح الفوال — علم الاجتماع البدوى — مرجع سابق ص ص ٢٦٧ — ٢٦٩ .

٣ — انظر — دكتور أحمد الخشاب — دراسات أنثربولوجية — مرجع سابق  
ص ٤٣ .

٤ — للاستزادة انظر رأى الأستاذة Ruth Benedict ضمن المصدر السابق  
ص ٤٣ — ٤٤ .

٥ — انظر تحليلا للسمات الثقافية المسادية في :  
Linton, Ralph, The Cultural Backyround of Personality N. Y, 1934.

٦ — يتزعم هذا الاتجاه كلاك ويزلر خلال كتاب « الانسان والثقافة » ،  
للاستزادة انظر :  
Wissler; Clark, Man and Culture, New York, 1923.

٧ — للاستزادة انظر :  
Ruth Bendict : Patterns of Culture, 1935.

٨ — صاحب هذه النظرية هو ليو فروينبوس ، انظر :  
دكتور أحمد الخشاب — دراسات أنثربولوجية — مرجع سابق — ص ص  
٤٩ — ٥٠ .

٩ — العالم الأمريكى كروبر Krober ، هو صاحب هذا التصنيف وطبقه  
على بعض المناطق الثقافية الأمريكية ، للاستزادة انظر :  
Krober, Anthropology.

وأيضا انظر :  
دكتور أحمد الخشاب — دراسات أنثربولوجية — مرجع سابق ص ص  
٥٠ — ٥١ .

١٠ — المصدر السابق ص ٥١ .

١١ — Sorokin, Social and Cultural Dynamics. The Cyclical Conceptions  
of Social and Historical Process, Social Forces, Vol. 6. N. I. Sept.  
1927.

١٢ — للاستزادة حول عملية التهجير والتوطين انظر :  
دكتور صلاح الفوال — تنبؤة المجتمعات الصحراوية — أسس نظرية —  
مكتبة القاهرة الحديثة — القاهرة — ١٩٦٨ ص ص ١٩١ — ٢١٥ .

\* \* \*

## المبحث الثالث

### النظم الاجتماعية بين الأنثروبولوجيا والاجتماع

\* الأنثروبولوجيا والنظم الاجتماعية •

\* الأنثروبولوجيا والفلكلوريات •

\* \* \*

### \* الأنثروبولوجيا ودراسة النظم الاجتماعية :

يشكل موضوع دراسة النظم الاجتماعية أحد الاهتمامات الرئيسية للأنثروبولوجيا خصوصا ما تعلق منها بالمجتمعات المتخلفة أو بالقطاعات المتخلفة من المجتمعات المتحضرة ، ولقد توافر على هذه الدراسة ما يعرف بـ « الأنثروبولوجيا الاجتماعية Social Anthropology » ، والتي تعتبر أكثر موضوعات الأنثروبولوجيا **التصاقا** بعلم الاجتماع ، وللدرجة التي رأى معها كثير من علماء الاجتماع أن لأنثروبولوجيا الاجتماعية ما هي الا فرعا متخصصا من علم الاجتماع له مهمة خاصة تتعلق بالقطاعات المتخلفة والمجتمعات المسماة بالبدائية أو شبه البدائية •

ولا نريد هنا أن نكرر ما سبق أن قلناه عند حديثنا عن اهتمامات الأنثروبولوجيا الاجتماعية ، لكننا نريد أن نؤكد على الدور الذي لعبته المدرسة **الوظيفية** من خلال الأنثروبولوجيا الاجتماعية في تطور وتقديم علم الاجتماع ذاته ، فالمنهج الوظيفي الذي يسلكه الباحث الأنثروبولوجي يجعله يدرس النظم الاجتماعية في مجتمع بحثه دراسة ميدانية مباشرة ، عن طريق معاشته للمجتمع البحوث ولمدة تطول أو تقصر على حسب خطته البحثية ، المهم أنه يدرس مجتمعه **ككل** مترابط ومتماسك ومن جميع النواحي الأيكولوجية والاقتصادية والسياسية ، ومن حيث الأعراف والعادات

والتقاليد والقيم السائدة ، فضلا عن مختلف النظم الاجتماعية ، الى جانب دراسته للفنون وللتكنولوجيات المتوافرة والمستخدمه في مجتمع البحث ، علاوة على مختلف العلاقات التبادلية بين البيئة الطبيعية والجغرافية وبين غيرها من النظم الاجتماعية والثقافية المؤثرة في بنية المجتمع وتطوره .

ويرى الأنثربولوجيون أن الباحث في سعيه لدراسة كل تلك الجوانب أثناء بحثه لظاهرة ما ، لا يفعل ذلك جزاها وانما أمله عليه ضرورة منهجية تسعى للتعرف على مختلف أبعاد الدور الذي تلعبه الظاهرة المبحوثة على مسرح النسق الاجتماعي العام أو من خلال البنية الكلية للمجتمع المبحوث كله ، باعتبار أن الظاهرة المبحوثة ان هي الا جزء فعال ويؤدي وظيفة في النسق الكلي العام للمجتمع<sup>(١)</sup> \* .

### \* الأنثربولوجيا والفلكلوريات :

الفلكلور Floklure ، كمصطلح يعني « المعرفة أو الحكمة الشعبية \* \* » كما تبدو من خلال الأدب الشعبي سواء أكان ذلك شعرا أو نثرا \* \* \* .

(\*) يسمى المنهج الوظيفي للبحث عن العلاقة بين مختلف النظم ، ويهدف أولا الى توضيح وتفسير اسس التنظيم الاجتماعي وعلاقة كل منها بالآخر ، ويهدف ثانيا الى تحليل تأثير نظام معين على بقاء علاقات معينة وعلى قدرتها على تحقيق أهداف محددة طبقا للتحديد المجتمعي لكل من العلاقات والأهداف ، كما يسمى المنهج الوظيفي ثالثا لاكتشاف الدور الذي يؤديه نظام ما في ايجاد الترابط الاجتماعي ، واستمرار وتطور طريقة أو نمط ما من طرق الحياة أو الحضارة في المجتمع للاستزادة انظر :

دكتور صلاح الفوال — منهجية العلوم الاجتماعية — عالم الكتب — القاهرة — ١٩٨٢ .

(\*\*\*) أول من استخدم مصطلح فلكلور هو العالم الانجليزي W. Toms عام ١٨٤٦ .

(\*\*\*) يمكن تعريف الفلكلور كعلم بأنه العلم الذي يدرس مختلف المؤثرات والمعتقدات الشعبية كالسحر والخرافات والغيبيات علاوة على الأساطير والأدب الشعبي والأغاني والمراسيم الخاصة بالموت وشعائره .

أو قد يقصد به « التراث الشعبي الممثل للروح أو النفسية الشعبية وبالشكل الذي تبرزه الأساطير والحكايات القديمة » .

لكن الاتجاهات المعاصرة ترى أن الفلكلور فنا شعبيا واقعيا ، لا بد من دراسته دراسة « أنثوجرافية \* » شاملة تركز على المسح العام لكل مظاهر الابداع الشعبي من المعتقدات والتقاليد والآداب والفنون التشكيلية ، بقصد العناية بالتغيرات المحلية والتنوعات البيئية في الفنون الشعبية .

ومن هذا المنطلق ، تغير مفهوم الفلكور ، حيث لم يعد تعبيراً عن الماضي فقط ، وإنما صار تعبيراً حضارياً دينامياً عن الماضي والحاضر معا (٢) .

ومن العلماء من يرى أن الفلكلور يجب أن يتوافر على دراسته علم مستقل يسمى علم « الفلكلوريات Folkloristics » ويختص هذا العلم بدراسة الأدب الشعبي بما فيه من روايات وسير وأحاديث شائعة ومتواترة (٣) .

ومنهم من يرى أن « الفلكلوريات » يجب أن تندرج تحت الدراسة اللغوية الأدبية خصوصا إذا ما وسعنا مفهومنا لاصطلاح « الأدب » ليضم مختلف الآثار الشفوية المتواترة والمنقولة الى جانب مختلف صور الابداع الفني المدون من شعر ونثر (٤) .

ولكن الاتجاه الذي يرى ضرورة توافر علم مستقل لدراسة الفلكلوريات هو الاتجاه السائد في معظم جامعات العالم ودوله الآن ،

---

(\*) الأثنوجرافيا Ethnography ، وهو الفرع الذي يختص — من بين فروع علم الأنثروبولوجيا — بدراسة الآثار والمظاهر المادية للثقافات أو الحضارات في الجماعات والمجتمعات البشرية .

للاستزادة حول الأثنوجرافيا انظر :

دكتور أحمد الخشاب — دراسات أنثروبولوجية — مرجع سابق — ص ص

٦٧ — ٧٢ .

وانظر أيضا مؤلفنا عن « سوسولوجيا الحضارات القديمة » — مرجع سابق — لتتعرف على بعض النماذج التطبيقية للأثنوجرافيا .

فى جمهورية مصر العربية مثلا ، خصصت جامعة القاهرة « كرسيا »  
لدراسة الأدب الشعبى ضمن كلية الآداب بها ، كما أقامت الدولة مركزا  
متخصصا للفنون والدراسات الشعبى وحددت أولى مهامه فى ضرورة  
البحث عن وفى مجال الفلكلوريات بمختلف الطرق العلمية علاوة على مهمة  
تسجيل التراث بشتى وسائل التسجيل وصوره \* .

كما تتعدد **مناهج** دراسة « الفلكلوريات » ، وهذا التعدد لا يرجع  
الى طبيعة التراث الشعبى كمادة مدروسة ، بقدر ما يعود الى اختلاف وجهة  
نظر الدارس نفسه حول مختلف العوامل المؤثرة والناجمة عن ذلك  
التراث (٥) .

واذا ما أردنا حصرًا تقريبا لتلك المناهج لتبين لنا أن هناك ستة  
مناهج هى ، المنهج الوظيفى ، والمنهج الاجتماعى ، والمنهج الجغرافى  
التارىخى ، والمنهج النفسى ، والمنهج الأنثربولوجى ، وأخيرا المنهج  
البنائى (٦) .



---

(\*) هناك بعض المعاهد والجامعات العربية التى لازالت تدرس  
الفلكلوريات ضمن معاهد أو كليات أو أقسام اللغة العربية ، وذلك ضمن  
المقررات التى تدرس الأدب العربى لاسيما الجاهلى والقديم منه .

## المصادر والتطبيقات

- ١ — ايفانز يرتيشار — مرجع سابق .
- ٢ — للاستزادة انظر :  
دكتور أحمد الخشاب — دراسات أنثربولوجية — مرجع سابق ص ص  
٦٤ — ٦٥ .
- ٣ — للاستزادة حول مناهج البحث الخاصة بدراسة التراث الشعبي انظر .  
دكتور نبيله ابراهيم — الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق —  
مكتبة القاهرة الحديثة — القاهرة — بدون سنة النشر — ص ص  
١٨٠ — ٣٠٢ .
- ٤ — المدرسة الفرنسية هي التي ترى ضرورة أن يستقل علم بدراسة  
« الفلكوريات » ويطلقون على ذلك مصطلح «Traditions Populoires» .
- ٥ — يتزعم هذا الاتجاه عدد من العلماء الأمريكان والانجليز مثل Tylar ،  
A. Lang ، ومن المعروف أن « تايلور » هو الذى نادى بهذا الراى اولا  
ثم تبعه الباحث الاسكتلندى « أندرو لانج » من خلال اعتبارهما للفلكوريات  
كظواهر أدبية ولغوية اجتماعية تنشأ تلقائيا .
- ٦ — من أشهر العلماء الذين درسوا الفلكوريات باعتبارها ظواهر نفسية ،  
العالم الألماني « ولهم وندت W. Wundt » ، ووضح رايه هذا من خلال  
كتابه « سيكولوجية الأمم » ، ومن أشهر من استخدم المنهج الوظيفى فى  
دراسة الفلكوريات « مالينوفسكى Malinowski » ، انظر مؤلفه :  
Magic, Science and Religion, Boston, 1948 ، ومن أشهر من  
استخدم المنهج الاجتماعى فى هذا المجال الباحثة الفنلندية « ه .  
جرانكفست » وكانت معظم دراساتها الحقلية عن فلسطين ولها فى ذلك  
عدة كتب منها :

1. Hilma Granquist; Birth and Childhood among the Arabs,  
Helsingfors, 1947.
2. Hilma Granquist : Marriage Conditions in a Palestinian  
Villiage, Helsingforo, 1931.

هذا ومن أشهر من استخدم المنهج الجغرافى التاريخى فى دراسة  
الفلكوريات الباحث « أنتى آرني Antti Aarni » ، ويسمى هذا

المنهج بشكل عام الى تتبع مسار الحكاية الشعبية بين الشعوب واجراء دراسات مقارنة لها تبعا للزمان والمكان اللذين نشأت فيهما الحكايات أو الأساطير الشعبية بهدف التعرف على ما لحق بالرواية الشعبية مثلا من حذف أو اضافة خلال مسارات تنقلها المختلفة ومحاولة ردها الى أصولها الأولى ، انظر في ذلك :

Antti Aarni; Der man aus dem Paradise, (F.F.C. Finland), 1915.

في :

دكتوراه نبيله ابراهيم — الدراسات الشعبية — مرجع سابق ص ٢٢٤ .

أما عن المنهج البنائي في دراسة الفلكلوريات فانه يسعى الى دراسة الشكل أو الصورة أو النمط الفلكلوري بوصفه كلا بعد تحليله الى عناصره الصغيرة المكونة له ، وذلك بهدف وضع ذلك الشكل أو النمط الفلكلوري ضمن تصنيف ملائم ينتظمه مع غيره من الأنماط الأخرى ، وبعبارة أخرى فان ذلك المنهج يسعى لدراسة الفلكلوريات من ناحيتها المورفولوجية معتمدا على التحليل البنائي لها .

وهذا المنهج قديم وحديث معا . . قديم من حيث النشأة وحديث من حيث الاهتمام ، انظر في ذلك :

Vladimir Propp : Morphology of the Folktale, Indiana Uni, 1968.

وانظر أيضا :

دكتور صلاح الفوال — مناهج البحث في العلوم الاجتماعية — دار الفكر العربى — القاهرة — ١٩٨٢ .



## المبحث الرابع

### الأنثربولوجيا بين الاستعمار والعنصرية

- \* الأنثربولوجيا والاستعمار .
- \* الأنثربولوجيا والعنصرية .
- \* الصلات ما بين اتجاهات التمييز العنصرى والاستعمار .

\* \* \*

### \* الأنثربولوجيا والاستعمار :

من الأمور التى وصمت الأنثربولوجيا — من وجهة نظر دول العالم الثالث على الأقل — صلة هذا العلم من حيث نشأته وتاريخه بالاستعمار والعنصرية ، حيث راح الكثيرون يعتقدون أن الأنثربولوجيا — كعلم — هى من حيث النشأة والهدف علم استعمارى ، لأنه كان مطية الاستعمار التى مكنت الدول الغربية من استعمار دول وشعوب كثيرة من آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية .

أما كيف حدث ذلك ، فان ذلك قد تم من خلال سلسلة متتابعة من الباحثين الذين ارتدوا قناع التبشير بينما هم فى الحقيقة مقدمة لذلك الزحف الاستعمارى الغربى الذى رزح فوق كاهل تلك الشعوب لسنوات عديدة .

وبحيت عمل هؤلاء الباحثون من خلال مهمتهم التبشيرية المزعومة الى جمع العديد من المعلومات حول المجتمعات المستعمرة أو التى يشكل

( م ١٢ — علم الاجتماع )

استعمارها هدفا مستقبليا ، ومن الطبيعي أن تستغل تلك المعلومات المجموعة اما في تثبيت الاستعمار أو تهيئة المناخ المناسب له للانقراض على ضحية جديدة للاستعمار وبأقل الخسائر الممكنة ، بالنسبة للدول الاستعمارية طبعاً •• !!

ولم يشفع للأنتروبولوجيا •• أن المعلومات التي جمعت حول شعوب ودول العالم الثالث قد اذهلت العلماء والباحثين ، حيث اتضح لهم أن الدول المستعمرة أو المستهدفة للاستعمار لها من النظم والحضارة والتقاليد ما يمكنها من الصمود ليس فقط في وجه الاستعمار المكشوف وانما في وجه مختلف أشكاله المستترة أيضا •

وبصرف النظر عن أن وجهة النظر تلك صحيحة الى حد كبير من حيث أنها تصف فترة تاريخية هامة من حياة الأنتروبولوجيا كعلم ، لكن هذه النظرة المتحفظة والمتخوفة ليست صحيحة تماما اليوم ، خصوصا وأن الأنتروبولوجيا قد طورت الكثير من أهدافها ومناهجها في البحث ، هذا فضلا عن انحسار الاستعمار ذاته كظاهرة عالمية من حيث صورته السافرة أو المكشوفة والمباشرة على الأقل •

اذن لم تبقى غير احساسات لا شعورية بعضها يحمل الأنتروبولوجيا كل أوزار الاستعمار ، وبعضها الآخر يحملها — خصوصا الجانب الذي يبحث منها في أصل الانسان من الناحية الطبيعية — أوزار الزندقة والكفر والعنصرية ، لكن تقدم الأمم وسعيها لتعويض سنوات الحرمان الطويلة لم ولن ينهض يوما على اللاشعوريات والغيبيات ، وانما سبيل التقدم والرخاء معروف ، وهو العمل الجاد القائم على العلم الذي يهيء أقصى اشباع ممكن للحاجات العديدة والمتغيرة للشعوب على ضوء امكانياتها وطاقاتها المحدودة والمتاحة ، والأنتروبولوجيا — كعلم — يمكنها أن تقدم الكثير في هذا المجال ، حتى ولو اضطررنا الى الاعتراف بدورها في التمكين للاستعمار ، فانه يمكنها أن تقوم بنفس الدور لكن في الاتجاه الصحيح وهو الممكن لعملية تنمية ورخاء دول العالم الثالث وشعوبه •

خصوصا وأن معظم الدراسات التي أجريت حول تصديت دول العالم الثالث أثبتت أن معوقات التنمية فيها ، تعود للقيم وللثقافات ولنماذج السلوك السائدة في تلك المجتمعات بنفس القدر الذى تعود فيه للنقص في الامكانيات والطاقات المادية والاقتصادية \* (١) .

وما غير الأنثروبولوجيا الاجتماعية قادر على أن يدرس ويحلل ويفسر البنيان الاجتماعى لمجتمعات العالم الثالث بكل نظمها وعاداتها وقيمتها وثقافتها خصوصا في علاقاتها التساندية ، لتكون تلك المادة المجموعة أمام العديد من الخبراء والمتخصصين في مختلف المجالات ، أساسا صالحا للتنمية والرخاء .

(\*) معوقات التنمية في الدول النامية تكاد أن تنحصر في العوامل الآتية :

- ١ — الفقر ، والمقصود به افتقار هذه الدول الى معظم مقومات الانتاج .
- ٢ — قلة الانتاج ، وتعود للانتاجية المحدودة سواء على مستوى الفرد أو على مستوى المجتمع ، حيث أن معظم الأعمال تتسم بالهامشية فضلا عن ضعف التنظيم وافتقار تقسيم العمل والتخصص .
- ٣ — قلة الخبرة الانتاجية على مستوى الفرد والمجتمع .
- ٤ — بدائية الانتاج وعدم تنوعه ، بمعنى اتجاه ذلك الانتاج للاشباع المباشر للحاجات وبصورته الأولية في معظم الأحيان ، علاوة على اعتماده على الجهود العضلى للانسان أو الحيوان أو عليهما معا .
- ٥ — انتشار البطالة بأنواعها المختلفة .
- ٦ — قلة الأيدى العاملة الماهرة والمدربة .
- ٧ — انتشار الأمية ، وليس المقصود هنا امية القراءة والكتابة فقط ، ولكن يقصد بها أيضا الأمية الادارية والتنظيمية .
- ٨ — انتشار الموانع الثقافية ، ويقصد بها معوقات التنمية التي تعود الى مجموعة القيم والتصورات السائدة في المجتمعات المختلفة والتي لا تهيبء لها المناخ الثقافى والاجتماعى الذى يمكن مختلف عوامل الانتاج المادية متى نوافرت من أداء دورها في تحقيق أهداف التنمية وبرامجها ، للاستزادة حول معوقات التنمية في البلدان المختلفة ومستلزماتها وكيفية التغلب عليها انظر :

دكتور صلاح الفوال — تنمية المجتمعات الصحراوية — اسس نظرية — مرجع سابق ص ص ١٦١ — ١٨١ .

## \* الأنثروبولوجيا والعنصرية :

نمت النظرية العنصرية في أحضان الأنثروبولوجيا ، فأضافت العنصرية الى جانب الاستعمار عبئا ثقيلا على الأنثروبولوجيا ، أثقل كاهلها وحد من حركتها كعلم يمكن أن يساهم الى حد كبير في تحديث المجتمعات النامية .

على كل فان الأنثروبولوجيا في سعيها لتصنيف السلالات البشرية أو التعرف عليها ، ارتكزت على عشرات التصنيفات للعديد من العلماء ، ومن تلك **التصنيفات** ما يعتمد على اللون ، سواء أكان للبشرة أو الشعر أو العينين ، أو تستند على « خريطة الرأس » من حيث شكل الشعر وتوزيعه ونسبة طول وعرض الرأس والأنف ودرجة بروز أى من قسمة الرأس ، علاوة على طول القامة والتناسب الموجود بين حجم الرأس وطول الجسم . الخ ، ومنها ما يعتمد على التأثيرات المختلفة للبيئة الجغرافية .

كل ذلك فضلا عن الاتجاهات المعاصرة نحو الاستعانة بتحليل كل من الدم والبصمات للتعرف على السلالات البشرية .

وفي سبيل ذلك ابتكر العلماء أكثر من عشرة **أنماط** لتصنيف السلالات الا أن علماء الأنثروبولوجيا كانوا دائما يأخذون بمزيج من كل تلك التصنيفات وذلك لصعوبة التحقق من وجود أى من المقاييس التي تتضمنها تلك التصنيفات سواء على مستوى الفرد أو الجماعة بشكل تام أو كامل ، هذا علاوة على عدم استقرار الصفات الفيزيائية المميزة لكل سلالة سواء بفعل التزاوج والمصاهرة بين مختلف الأجناس ، أو بفعل الانتقال بأشكاله وأسبابه المتعددة الذي هو جزء من طبيعة الانسان ككائن حي يتحرك الأمر الذي يؤثر بغير شك على درجة ثبات الصفات **الفيزيائية** وهي الركيزة الأساسية في كل الآراء أو النظريات التي قيلت حول تصنيف السلالات البشرية (٢) .

وهناك من يعتقد أن اختلاف علماء الأجناس وكثرة تصنيفاتهم للسلالات البشرية الى الحد الذى تتراوح فيه تلك الأجناس ما بين ثلاثة الى مائة وخمسين فرعاً ، هذا التعدد وذلك الاختلاف ، يدعوان **للشك** أصلاً فى صحة ما ذهبوا اليه بتعدد الأجناس البشرية بالصورة التى أكدوها ، فضلاً عن أن دعاواهم للتفريق بين الأجناس البشرية لا تقوم على أسس ثابتة .

ويدعم ذلك الاعتقاد أن تلك المزايم **العرقية** أو الفيزيائية تترتب عليها دعاوى أخرى تفسر أسباب تفوق أو انحطاط مجموعة أو سلالة بشرية ما بناءاً على ما تملكه تلك المجموعة من مقومات أو خصائص نفسية أو اجتماعية أو ثقافية هى فى رأى أصحاب الدعاوى السلالية نتاج طبيعى لتلك التقسيمات الفيزيائية التى يدعونها .

لكن هناك اعتقاد آخر ، يؤمن بأن **التمايز العنصرى** ، قديم قدم البشرية ذاتها ، وأنه من غير الانصاف أن نحمل الأثنربولوجيا أوزاره ، لأن أى دارس للحضارات القديمة أو أى متتبع لتاريخ البشرية خلال مسارها الطويل منذ عشرات المئات أو الألوف من السنين ، سوف يجد بالقطع أن التمايز كان هو قدرها أو سمتها الأساسية .

ويقدم أصحاب هذا الاتجاه ما يؤيد وجهة نظرهم خصوصاً من خلال الدعاوى **الشعوبية** التى سادت المجتمعات الحضارية القديمة كالهند واليونان والرومان والفرس ، حيث كانت هذه المجتمعات تعتبر ماعداها فى مرتبة حضارية أقل ، ومن بعد تلك الدعاوى الشعوبية جاءت **الديانات** القديمة واستعارت بعض أسس ذلك التمايز وأسماءه وأطلقتها على المخالفين فى الدين أو فى العقيدة .

فمثلاً نجد أن الرومان كانوا يسمون الأجناس غير الرومانية باسم « جنتيل » Gentiles ، وجاءت اليهودية لتطلق نفس الاسم على كل ما

هو غير اسرائيلي ، ومن بعدها جاءت المسيحية لتطلق أيضا نفس اللفظ على من يدينون بغير المسيحية أو اليهودية •

ومادما بصدد الديانات القديمة ، فقد تضمنت التوراة خلال سفر التكوين بالذات تمييزا عرقيا لازالت بصماته واضحة حتى اليوم عندما ردت البشرية كلها الى أبناء نوح عليه السلام وهم سام وحام وياقت ، كما حددت الشجرة السلالية لكل منهم وكذلك التفرعات التي نتجت عنهم (٣) •

ولكن الفرق بين التقسيم الذي أتت به التوراه من خلال سفر التكوين ، وبين المزاعم الفيزيائية التي يأخذ بها الأنثربولوجيون واضح وكبير ، فالتوراه ارتكزت في ذكر الشعوب التي انحدرت من أبناء نوح الثلاثة على على أسس وروابط لغوية وسياسية ، أكثر من اعتمادها على الصلات الفيزيائية أو البيولوجية التي تعتبر عند الأنثربولوجيون ركيزة أصلية في رد السلالات الى أصلها (٤) •

### \* الصلات ما بين اتجاهات التمييز العنصرى والاستعمار :

قلنا قبلا أن دعاوى التمييز بين السلالات ، ارتكزت اما على عوامل فيزيقية وبيولوجية مزعومة ، أو على دعاوى شعوبية قديمة ، أو على أسس دينية أسىء فهمها من غير شك خصوصا ما ورد في سفر التكوين من التوراه ، وكان من أبرز اساءات الفهم تلك ما قيل عن تفوق الجماعات السامية أى التي تنتمى الى « سام » استنادا على نص دينى قديم ورد في التوراة ، ويقول ذلك النص ما معناه أنه حكم أو قضى على أبناء « حام » الابن الثانى لنوح عليه السلام ، أن يكونوا قاطعى أخشاب وأن يعملوا في رفع الماء وحمله •

وبناء على ذلك النص برزت فكرة استعمارية خبيثة لتبرير استعمار الشعوب الأوروبية لغيرها من الشعوب الملونة ، وهيات لهم دعاواهم

الأبيض أو الجنس العنصرية القائمة على أساس نظريات تزعم تفوق الجنس الآرى ، هيات لهم هذه الدعاوى المدعومة بنص دينى قديم ورد فى التوراة وأسىء فهمه وبالتالى أسىء استغلاله ، هيات لهم دعاواهم أن المشيئة الالهية قضت بأن يقوم الملونون بأعمال السخرة وأن يكونوا دوما فى خدمة الشعوب البيضاء ، وطبعا لن يحدث ذلك بغير استعمار الجنس الأبيض للجنس الأسود أو الملون ليس فقط تحت ذريعة تلك المشيئة الالهية المزعومة ، ولكن لأن قدر الجنس الأبيض هو أن يبسط حمايته ورعايته لما عداه من الأجناس كضريبة على نبوغه وتفوقه .. تنفيذاً لغضبة نوح على ولده حام ولدعوته على سلالته من بعده بالرق والعبودية .. !!

وعلى كل حال .. لم تكن الدعاوى الدينية وحدها هى التى خلقت المبرر أمام الدول الاستعمارية لاستغلال غيرها من شعوب ودول العالم الثالث ، كانت الى جوارها آراء عنصرية أخرى كثيرة تزعم أن الرق والاستعباد — والاستعمار أحد أشكالهما المتطورة — شيئاً هو من فاهوس الطبيعة ذاتها ، وما أفكار وآراء أرسطو \* ببعيدة حيث كان يزعم أن الطبيعة عندما تمنح فانما تعد شعوباً للتفوق والسيادة ، وعندما تمنع فانما تحكم على شعوب أخرى بالانحطاط والعبودية ، ودائماً كان العطاء للشعوب البيضاء ، ودائماً كان المنع لمن سواهم من الملونين كما يزعم دعاة العنصرية والاستعمار \* \* \*

وهناك نقطة أخرى ساهمت الى حد كبير فى نمو تلك الدعاوى العنصرية الاستعمارية وتتمثل فى نتائج الدراسات الحقلية التى أجريت للعديد من

---

(\*) لانلاطون خلال جمهوريته آراء مشابهة ، لكنها تنصب بالدرجة الأولى على الأفراد لا على الجماعات حيث زعم أن الاله صنع الحكام من طينة خاصة تؤهلهم للحكم والفلسفة ، وزعم أن طينة هؤلاء اختلطت بالذهب ، بينما طينة من تلاهم اختلطت بالفضة ، أما بقية طبقات الشعب فقد اختلطت طينتهم بالحديد والنحاس .

(\*\*\*) من الطبيعى الا يرتكز الاستعمار على تلك المبررات فقط ، بل كانت له بالضرورة أهداف استراتيجية واقتصادية وسياسية كثيرة أخرى ، لكننا هنا بحكم الموضوع نركز الضوء على الدعاوى العنصرية كأحد المبررات التى لجأ اليها الاستعماريون فى ااضفاء الشرعية على استغلالهم لدول العالم الثالث .

الشعوب البدائية أو شبه البدائية خصوصا في أعقاب اكتشاف القارتين الأمريكية والاسترالية ، حيث أبرزت نتائج تلك الدراسات وجود تشابه كبير في خصائص السكان الأصليين لقارتى أمريكا واستراليا فضلا عن التشابه الموجود بين هؤلاء السكان وبين خصائص الشعوب التي أوردتها التوراة •

وقبل أن نختم حديثنا عن الأنثروبولوجيا بين الاستعمار والعنصرية ، نحب أن نوضح أن هناك عددا من الأنثروبولوجيين يردون فكرة التفرقة العنصرية الى ظاهرة الاستعمار ذاتها ، بمعنى أن التمايز العنصرى هو احدى نتائج الاستعمار وليس العكس •

ويقيم هؤلاء الباحثين فكرتهم على أساس أنه في حقبات تاريخية كثيرة ومنوعة هاجرت أجناس متعددة من أوطانها الأصلية واستقرت في بلاد تسكنها أجناس أخرى ، ولظروف تاريخية واجتماعية معينة تمكن الكثير من تلك الأجناس المهاجرة من اغتصاب كل بلاد المهجر أو أجزاء كبيرة منها ، فكانت لهم السيادة والحكم مع ما استتبع ذلك من تكريس كل مقومات الحياة والقوة في يد الغالب ، بينما حرم المغلوب حتى من أبسط مقومات الحياة •

وطبقا للمقاعدة المعروفة التي تمكن القوى من أن يزداد قوة ، بينما يزداد الضعيف ضعفا ، أو تمكن الغنى من أن يزداد غنى بينما يزداد الفقير فقرا ، تردى السكان الأصليون في هاوية التخلف والتأخر ، ومع مرور الزمن صار ذلك التخلف هو سمة المغلوب ، بينما أصبح التقدم سمة الغالب ، زد على ذلك محاولة المستعمر المستمرة لتكريس كل خصائص التخلف ومقوماته ليس فقط تدعيما لاستعمار واستغلاله وانما أيضا لتثبيت دعاواه العنصرية التي ترجع تفوقه الى خصائص كامنة فيه ، وبالتالي ترجع تخلف غيره لخصائص كامنة في ذلك الغير !! • • •

لكن الانصاف يدعوننا الى أن نؤكد أن تلك الدعاوى العنصرية ، خصوصا تلك التي لوت النصوص الدينية القديمة ، قد وجدت من يتصدى لها خصوصا من رجالات الدين المسيحي ، فضلا عن مجموعة كبيرة من فلاسفة الغرب ومصلحيه الاجتماعيين ومنهم فولتير الذي دعا وبالطاح الى اعتبار مختلف صور التمايز العنصرى **انحرافا** ليس فقط عن قيم الفضيلة والتحضر والاخاء والمساواة ، وانما هى انحراف اجتماعى لا يستقيم مع العقل ولا مع المنطق (٥) .



## المصادر والتعليقات

١ — دكتور صلاح الفوال — تنمية المجتمعات الصحراوية — أسس نظرية — مرجع سابق .

٢ — توجد تقسيمات وتصنيفات عديدة للسلالات البشرية منها ما أورده « لينابروس » حيث قسم البشرية على أساس جغرافي الى ثلاثة أجناس ، أما « بلو منباخ » فقد قسمها الى خمسة أجناس معتمدا على لون البشرة وتقاسيم الوجه ، علاوة على شكل الشعر وتضاريس الجمجمة ، ثم جاء بعد ذلك أنثربولوجيون كثيرون زادوا في تقسيم أجناس البشرية حتى وصلت الى اثنين وثلاثين قسما على يد « مورتن » ، ثم « روجرى » الذى رأى أن الأجناس البشرية تنتظم فى ثمانية أقسام رئيسية لكنها تضم فروعاً عديدة تصل الى ثلاثة وأربعين فرعاً .

ويبدو أن تلك التقسيمات لم تكن كافية ، فقد أخذ الأنثربولوجيون سواء بصفاتهم الشخصية أو من خلال مؤتمراتهم العلمية ، أخذوا يزيدون من فروع العائلة البشرية حتى وصل عددها على يد العالم الأمريكى « جيلدون » الى مائة وخمسين فرعاً .  
للاستزادة حول تلك التقسيمات وعلماؤها انظر :

— الدكتور أحمد الخشاب — دراسات أنثربولوجية — مرجع سابق ص ص ٢٠٦ — ٢٠٩ .

٣ — للاستزادة انظر :

Juan Comans, The Race Question in Modern Science Racial Mythes, Unesco, 1951.

٤ — ذهب علماء اللغويات استناداً على ما ورد فى سفر التكوين عن نوح عليه السلام وأولاده سام وحام ويافت ، الى أن هناك صلة ما بالضرورة بين مجموعات اللغات التى تصدر عن أصل واحد وبين انتهاء الناطقين بها الى جنس واحد ، ولقد تعرضت هذه الفكرة لانتقادات عديدة أهمها أنه لا يمكن الاعتماد على اللغة وحدها كدليل على الاشتراك فى وحدة الأصل .

٥ — أثبتت معظم الدراسات العلمية أن دعاوى الجنس والعنصرية لا تنهض على أسس علمية ، بل كثيراً ما أكدت التجارب عكس ما ذهب اليه

أصحاب تلك الدعاوى ، وسنعطى هنا بعض الأمثلة من خلال النقاط الآتية :

— ثبت أن الفصائل الدموية لا تحمل اية مدلولات لاي تفوق عنصري لاي جنس من الأجناس البشرية ، ولقد حلت فقط على وجود تقارب أو توحد فيما يختص بأصول تلك السلالات .

— اثبتت التشرحيات التي أجريت حول حجم الجمجمة ووزن المخ انه لا توجد اية صلات بين التفاوت في حجم الجمجمة والذكاء مثلا ، وان كانت بعض الشعوب قد تفوقت في رأى البعض نتيجة لكبر حجم المخ وتلافيفه ، فقد ثبت توافر مثل تلك التلافيف وذلك المخ لدى شعوب بدائية كثيرة ومع ذلك لم تكن متفوقة بنفس المعدل أو لم تكن متفوقة على الاطلاق .

— ما حاوله بعض العلماء من اثبات أن تفوق جنس ما انما يرتبط بعدد النابقين فيه ، ولكن الدراسات الميدانية اثبتت عكس ذلك .  
للاستزادة حول هذه الأبحاث وما انتهت اليه من نتائج انظر :

دكتور أحمد الخشاب — دراسة انثربولوجية — مرجع سابق ص ص ٢٣٧ — ٢٤٩ .  
وانظر أيضا :

Otto Klineberg, Race, Psychology, Unesco 1951.



## المبحث الخامس الأنثربولوجيا بين التطبيق وأهم النتائج

- \* التطبيقات الأنثربولوجية •
- \* نتائج بعض الدراسات الأنثربولوجية •
- \* \* \*

### \* التطبيقات الأنثربولوجية :

لكل علم هدف تطبيقي يسعى اليه ، لأن العلم للعلم يعتبر عملا ترفيهيا خصوصا بالنسبة للدول والمجتمعات النامية أو التي هي في طريق النمو ، والتي تريد أن تعوض ليس فقط سنوات الحرمان الطويلة والمريرة التي عاشتها في ظل ظروف مفروضة عليها في جملتها ، وانما لتلحق أيضا بالركب الحضارى الذى يتغير كل يوم بل كل ساعة وكل لحظة •

والأنثربولوجيا كغيرها من العلوم الانسانية أو الطبيعية — يجب أن يكون لها أهداف تطبيقية ، أى محاولة استثمار كافة المعلومات النظرية التى توافرت لديها وتوظيفها لخدمة قضايا مجتمعية كقضايا التنمية والتحديث وما إليها \* •

ومن هذا المنطلق يمكننا تعريف توظيف المعلومات الأنثربولوجية المختلفة والمتعددة في مجالات خدمة المجتمع ، في نطاق ما يسمى بـ « الأنثربولوجيا التطبيقية » ، يمكن تعريفها « بأنها الطريقة العلمية التى تركز على استثمار وتوظيف المعلومات الأنثربولوجية في المساهمة في حل المشكلات المجتمعية الحالية أو المستقبلية ضمن اطار خطة عامة لتنمية المجتمع وتحديثه » •

صحيح أن الأنثربولوجيا قد تكون لازالت غارقة في دراسة وقائع اجتماعية معاصرة لكنها تنتمى الى الماضى ، بل والى الماضى السحيق أيضا

---

(\*) للاستزادة حول هذه النقطة انظر كتابنا :

( ١ ) علم الاجتماع .. المفهوم والموضوع والمنهج — مرجع سابق

ص ص ٥٨ — ٦٢ •

( ب ) منهجية العلوم الاجتماعية — مرجع سابق — الفصل الحادى عشر .

حضاريا واجتماعيا ، لكن هذه هي سمة وقدّر كل المجتمعات المتخلفة التي تحيا في عصرنا الحاضر حياة قرون سابقة خلت .

وفي رأينا أنه لو تمكنت الأنثروبولوجيا من تقديم صورة صحيحة عن أنماط ذلك التخلف الذى تحياه مجتمعات كثيرة في دول العالم الثالث ، لكان ذلك وحده انجاز مقدر لها ، لأن ذلك سوف يمكن كل المتخصصين من وضع تصوراتهم عن تنمية تلك المجتمعات وتحديثها من خلال الواقع الاجتماعى والحضارى الذى تحياه تلك المجتمعات بالفعل \* ، لأن ذلك الفهم هو الذى سيمكننا من تغيير ذلك الواقع من صورته غير المرغوبة الى صورته التى نتمنى أن يكون عليها رفاهية وتحضرا .

والأنثروبولوجيا التطبيقية Applied Anthropology ليست بدعة أو شيئا جديدا ، فقد سبق للدول الاستعمارية أن سعت اليها واستغلتها أسوأ استغلال واستخدمت في سبيل ذلك علماء أنثروبولوجيين مبرزين مثل «ايفانز بريتشارد» الذى قدم دراسة عن قبائل « الأزاندى » السودانية بصفته مبعوثا ومستشارا لوزارة المستعمرات البريطانية ، ولم يكن وحده بل شاركه في ذلك « نادل Nadel » عندما قام بدراسته المشهورة عن قبائل « النوبا » النيجيرية مبعوثا ومستشارا لنفس وزارة المستعمرات البريطانية .

ونفس الشئ فعله « راد كليف براون » عندما قام بدراسته الشهيرة عن « نظم الحكم لدى الجماعات الافريقية » .

كما استخدمت الدراسات الأنثروبولوجية لتبرير التفرقة العنصرية وفلسفتها في مجتمع كالمجتمع الأمريكى مثلا ، وكان ركيزة ذلك التفلسف عالم مبرز هو « ماكيفر » حيث ضمن كتابه الشهير « المجتمع » دراسة توضح — من وجهة نظره — أن نسبة ذكاء الزنوج أقل منها لدى البيض ،

---

(\*) انظر مثلا لذلك خلال اى من كتبنا الاربعة التالية :

- ١ — البداوة العربية والتنمية — دار الفكر العربى — القاهرة — ١٩٨٢ .
- ٢ — تنمية المجتمعات الصحراوية — أسس نظرية — مرجع سابق .
- ٣ — تنمية المجتمعات الصحراوية — تطبيقات ميدانية — مكتبة القاهرة الحديثة — القاهرة — ١٩٦٨ .
- ٤ — علم الاجتماع البدوى — مرجع سابق .

وكان طبيعيا أن يسود الجنس الأبيض ويتميز بحكم تفوقه ونبوغه المزعوم \* .

ولم تكن الاستخدامات التطبيقية للأنثروبولوجيا في الماضي ، استخدامات استغلالية لتثبيت استعمار أو لابرارز تفوق عنصرى وتأكيده فقط ، وإنما كانت لتلك الاستخدامات أيضا جوانب عديدة مضيئة في الكثير من المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والروحية والفلكلورية ساعدت كلها في فهم المجتمعات وتقدمها .

والخلاصة أن دور الأنثروبولوجيا التطبيقية لا يمكن إنكاره حتى مع ما فيه من استغلال سييء ، لأن كلا من الجانب السلبي والايجابى لذلك الدور ساهما معا ككناقوس خطر قرع مسامع العالم كله سواء بالنسبة للواقع المر الذى تحياه المجتمعات المتخلفة ، أو سواء بالنسبة لصور وأشكال الاستغلال البشع لتلك المجتمعات من جانب الاستعمار أو التفرقة العنصرية ، مما جعل تلك المجتمعات المقهورة أو المغلوبة على أمرها تهب لاسترداد حريتها وكرامتها من جهة ، ومما حدى بالمجتمع العالمى كله لأن يقف ضد مختلف صور ذلك الاستغلال والاستعمار والتعصب حتى من داخل المجتمعات الاستعمارية ذاتها .

\*

### \* نتائج بعض الدراسات الأنثروبولوجية :

نحن لن نطيل في هذه النقطة كثيرا ، ويمكن لمن أراد الاستزادة حولها أن يعود الى مؤلفنا « علم الاجتماع البدوى » (١) .  
لكننا هنا سنشير فقط الى بعض الدراسات والنتائج على النحو الآتى ، وسنحيل القارئ الى بعض مصادرها الأصلية :

١ — قام « مارسل موسى » باعداد بحث قيم عن « الهبات والهدايا

---

(\*) كتاب « المجتمع » المشار اليه الفه كل من ر . م . م . ماكيفر ، شارلزبيج عام ١٩٣٧ ، وقد نقله الى العربية الأستاذ الدكتور على أحمد عيسى ونشرته مكتبة النهضة المصرية في طبعتين عام ١٩٥٧ ، ١٩٦١ ، انظر ص ص ١٦٤ — ١٦٨ ، وفقرات كثيرة غيرها من الطبعة الثانية .

**الملزمة** « لدى عدد مختار من الجماعات البدائية وشبه البدائية في أنحاء متفرقة من العالم مثل بولينيزيا ، وميلانيزيا والشمال الغربى الأمريكى ومناطق أخرى من العالم ، ولقد عمد « موس » الى دراسة مجموعة من الأنساق والنظم الاجتماعية من خلال حرصه على وصفها - على حد تعبيره - نسقا بعد آخر وصفا **تكامليا** ، متجنبا المقارنات الاستقرائية - على حد قوله - التى يختلط فيها كل شئ ، والتى تفقد فيها النظم كل لونها المحلى وتتخلى فيها الوثائق عن دلالتها تماما (٢) .

ولقد انتهى « مارسل موس » الى عدة **نتائج** يرى أنه من الممكن تطبيقها على مجتمعاتنا المعاصرة ، حيث تمثل الهبات الملزمة جانبا من القواعد الأخلاقية لمجتمعاتنا الحالية علاوة على تأثيراتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية المختلفة والمتنوعة ، والتى لا تقتصر على المجتمعات التى كانت محل دراسة « مارسل موس » أو المجتمعات المشابهة لها فى الماضى فقط ، وإنما تمتد تلك **التأثيرات** لتشمل العديد من المجتمعات الحديثة أيضا (٣) .

٢ - نشر كل من H. Hoijer و R. Beals عام ١٩٧٠ خلال كتابهما المسمى «An Introduction to Anthropology» ، دراسة تبرز التطبيقات المختلفة للأنثروبولوجيا خاصة فى المناشط الاقتصادية للعديد من المجتمعات من خلال ما يعرف بعلم « الأنثروبولوجيا الاقتصادية » ، وارتكزت تلك الدراسة على عدد من **التساؤلات** الهامة ، حول فهم الاقتصاديين لكيفية السلوك البشرى ، وما جدوى دراسة المجتمعات غير الصناعية فى تنمية أو تطوير الفكر الاقتصادى ، والمدى الذى يمكن أن يفيدنا فيه الفكر الاقتصادى أو حتى النظرية الاقتصادية من أجل فهم اقتصاديات المجتمعات غير الصناعية بصفة عامة والمتخلفة بصفة خاصة ، ثم ما هى الحالات التى تتشابهك خلالها كل من الأنساق الاجتماعية والاقتصادية ، وأخيرا .. ما هو شكل وأبعاد الاختلافات الموجودة بين النظم الاقتصادية فى كل من المجتمعات الصناعية وغير الصناعية .

وطبعا هذه التساؤلات استدعت **تصاغر** جهود عدد من الاقتصاديين والأنثروبولوجيين للعمل على ايجاد اجابات معقولة لها .

وأوضحت الدراسة المشار إليها أن الفكر الأنثربولوجي الاقتصادي دار حول نقطتين محددتين ، تتمثل أولاهما في إبراز الكيفية التي يتم بها إنتاج السلع في المجتمعات البشرية ، علاوة على الكيفية التي يتم بها توزيعها للاستهلاك •

وتتمثل النقطة الثانية في توضيح الطريقة التي يتم بها إنتاج وتوزيع السلع والخدمات على مختلف المجتمعات البشرية ، مع بيان الأنماط السلوكية التي يتم خلالها ذلك كله (٤) •

وكان من الطبيعي أن تثار العديد من التساؤلات الفرعية الأخرى ، ككيفية تقسيم العمل ، وتنظيم الإنتاج ، وأشكال التبادل لاسيما ما تعلق منها بصور التجارة المختلفة ، فضلا عن أشكال الملكية وأسس توزيع الثروة ، مع محاولة معرفة مشكلات كل من الإنتاج والاستهلاك (٥) •

٣ — توجد دراسات أنثربولوجية أخرى متعددة ، وكانت لها تأثيراتها المؤكدة ليس على مسيرة وتقدم الأنثربولوجيا فقط ، بل وعلى تقدم علم الاجتماع أيضا ومن هذه الدراسات :

( أ ) الدراسات التي أجريت حول القبائل الأسترالية لمعرفة واستكشاف مختلف أبنيتها الاجتماعية مع التركيز أحيانا على بعض الظواهر والنظم كالثأر أو الزواج والحروب والحياة الجنسية (٦) •

( ب ) الدراسات التي أجريت حول مجتمع الأندمان ، بهدف استجلاء نظم الزواج ومراسيمه ، علاوة على التعرف على شعائر الموت ومعتقداته عند الأندمانيين (٧) •

( ج ) الدراسات التي أجريت حول الأسكيمو وأبرزت بصفة خاصة مختلف نظمهم الاجتماعية لاسيما ما تعلق منها بتقسيم العمل ووآد الأطفال والثأر عندهم (٨) •

( د ) الدراسات التي أجريت حول الهنود الحمر ، وما أسفرت عنه من معرفة للتوتمية لديهم ، علاوة على نظم الحرب والفروسية وتقسيم العمل وبيان كيفية بلوغ الصبي مبلغ الرجال عندهم (٩) .

( هـ ) الدراسات التي أجريت حول قبائل الأزاندى والنوير والبوشمان الأفريقية ، وما أسفرت عنه من توضيح لمختلف النظم والأنساق والأبنية الاجتماعية لديهم خاصة ما تعلق منها بالطبقات والسحر وبعض صور الزواج الغريبة عندهم (١٠) .

\* \* \*

## المصادر والتعليقات

- ١ — انظر : دكتور صلاح الفوال — علم الاجتماع البدوى — مرجع سابق —  
ص ص ٣٠١ — ٣٨٤ ، لتتعرف على نتائج الدراسات الأثنربولوجية ونماذج  
للمجتمعات التى درست من خلالها .
- ٢ — مارسيل موس — علم الاجتماع والأثنربولوجيا — ترجمة الدكتور محمد  
طلعت عيسى — مكتبة القاهرة الحديثة — القاهرة — ١٩٧٢ — ص ٢٦ .
- ٣ — للاستزادة حول هذه النقطة :  
انظر المرجع السابق — ص ص ٢٠١ — ٢٢٣ .
- ٤ — للاستزادة انظر :  
Beals, R. & Hoijer, H. An Introduction to Anthropology, New  
York, 1970.
- ٥ — نفس المرجع السابق .
- ٦ — دكتور صلاح الفوال — علم الاجتماع البدوى — مرجع سابق ص ص  
٣٤٣ — ٣٥٣ ، وانظر أيضا :  
— W. L. Warner, A Black Civilization, A Social Study of an  
Australian Tribe, Harper and Brothers, 1958.  
— Raymond, Firth, We, The Tikopia : A Sociological Study of  
Kinship in Primitive Polynesia, London, 1957.  
— B. Malinowski, The Sex Life of Savages, London, 1939.
- ٧ — دكتور صلاح الفوال — علم الاجتماع البدوى — مرجع سابق ص ص  
٣٥٤ — ٣٥٦ ، وانظر أيضا :  
— R. Radcliffe - Broun, The Andaman Islanders, Cambridge,  
1933.
- ٨ — دكتور صلاح الفوال — علم الاجتماع البدوى — مرجع سابق ص ص  
٣٥٧ — ٣٦١ ، وانظر أيضا :  
— F., Boas, The Central Eskimo, A Bison Book, 1964.

٩ — دكتور صلاح الفوال — علم الاجتماع البدوى — مرجع سابق ص ص  
٣٦٢ — ٣٦٦ ، وانظر ايضا :

— Marden, C. : Minorities in American Society, American Book  
Company, New York, 1952.

١٠ — دكتور صلاح الفوال — علم الاجتماع البدوى — مرجع سابق ص ص  
٣٦٧ — ٣٨٣ ، وانظر ايضا :

— E. E. Evans. Pritchard, The Nuer, A Description of the Model  
of Linclihood and Political, Institutions of Peoples, Oxford,  
1940.

— E. E. Evans, Pritchard, Kinships and Moringe Among The  
Nuer, Oxford, 1951.

\* \* \*